





تفاهم

مختارات قصصية
من الأدب الباكستانى المعاصر

ترجمة وتقديم : سمير عبد الحميد إبراهيم

389

المشروع القومى للترجمة

تفاهم

(مختارات قصصية)

من الأدب الباكستانى المعاصر

ترجمة وتقديم : سمير عبد الحميد إبراهيم



المشروع القومى للترجمة

إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٣٨٩
- تفـــــاهم
- مختارات قصصية من الأدب الباكستانى المعاصر
- سمير عبد الحميد إبراهيم
- الطبعة الأولى ٢٠٠٢

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo

Tel : 7352396 **Fax :** 7358084 **E. Mail :** asfour @ onebox. com

تهدف إصدارات المشروع القومى للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة .

المحتويات

تقــديم

هــذه مجموعة من القصص القصيرة تم اختيارها بدقة وعناية حتى تمثل اتجاهات القصة القصيرة المعاصرة فى الأدب الأردى ، والعناوين التى وردت هنا ترجمة دقيقة لعناوين القصص الأردية ، وينطبق هذا أيضا على ترجمة محتوى كل قصة ، فقد توخى المترجم الدقة والأمانة، ولم يحذف عبارة وردت فى الأصل كما لم يعمد إلى أى زيادة ، وإن حدث – وهو أمر نادر - أشير إلى ذلك بوضع الكلمة أو العبارة بين قوسين .

تضمنت هذه المجموعة القصصية قصصًا قصيرة لأدباء كبار لهم مكانتهم فى الأدب الأردى مثل : أحمد نديم قاسمى ،و ممتاز مفتى وبانو قدسية ،ومحمد صدر عالم صديقى المعروف باسم "إى حميد"، وشبان أدباء احتلوا أيضا مكانتهم فى الأدب الأردى وبخاصة فى فن القصة القصيرة ومنهم ستار طاهر ، وظفر إقبال ، وغافر شهزاد ، وشمس نعمان ، وسلمى ياسمين ، ومحمد سعيد شيخ ،ونجم الحسن رضوى ، وعقيلة كاظمى .

وقد تم اختيار هذه المجموعة القصصية التى تتضمن خمس عشرة قصة قصيرة بعد قراءة متأنية لأكثر من خمسين قصة قصيرة نشرت فى مجلات أدبية متفرقة وضمن مجموعات قصصية ، وهى فى معظمها تمثل الاتجاه الواقعى ، وتتسم بالصدق فى نقل صورة المجتمع فى شبه

القارة الهندية عامة وفى باكستان خاصة ، بالإضافة إلى أنها تتميز بعمق الأفكار وجدتها فضلا عن لغتها المعبرة وشخصياتها المرسومة بدقة.

ويلاحظ فى معظم القصص المختارة هنا وضوح الطابع الاجتماعى والديني والسياسى بل والفلسفى والأخلاقى فى الأحداث ، فالأدباء هنا يرصدون الواقع كيفما تسنى لهم ، ويختارون من الأحداث ما يخدم الغرض .. وسوف يطالع القارئ قصصا تعالج أحداثا مختلفة فى أزمنة مختلفة ، وفى أمكنة مختلفة .

ولم يقتصر الأدباء هنا على تصوير المجتمع فقط بل تغلغلوا فى النفس البشرية وأوضحوا أثر الأحداث على الأفراد والجماعات .. ولما كانت القصة تحتاج إلى الحوار فى بعض أجزائها فقد اهتموا أيضا بهذا الأمر ؛ فضمن هذه المجموعة نلاحظ بعض القصص تضمنت حوارا بين الشخصيات ، والحوار له أهميته كما هو معروف فى السمو بفن القصة القصيرة ؛ لأنه يبين الشخصية ويضيف حيوية إلى الحدث ثم هو عامل أساسى ومهم ،يبين كيف تفكر الشخصية من ناحية ثم يوضح نوعيتها التى تظهر طريقة التفكير ونوعية الحوار من ناحية أخرى، ويمكن أن نلاحظ هذا بوضوح فى قصة " الماضى والمستقبل" للأديب ممتاز مفتى ، وكذلك فى قصة " الابن والابنة والله" للأديب شمس نعمان و" كرب" للأديبة سلمى ياسمين و" كشف " للأديبة بانو قدسية.

أما لغة هذه القصص فى مجموعها فهى فى الحقيقة لغة الحياة اليومية ولغة التفاهم المستخدمة بين الناس كل يوم ، وقد أشار إلى هذا

بوضوح الأديب ممتاز مفتى إلا أن بعض القصص تضمنت لغة سمت قليلا عن لغة الحديث التى أشار إليها ممتاز مفتى ، ولا يعنى هذا أن اللغة التى أشار إليها ممتاز مفتى ، لغة مبتذلة .. لا .. إنه يعنى التعبير عن المشاعر بالمصطلح الذى يجد صداه لدى الطرف الآخر فيؤثر فيه .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الترجمة العربية للقصص الأردية حافظت بقدر الإمكان على روح النص الأصلى وروح العبارة وروح الجملة ، وما تتركه الألفاظ من ظلال على المعانى ، وقد تم هذا دون الخروج على النص الأصلى .

وقد تم اختيار قصص هذه المجموعة ليتم التعامل مع كل منها على حدة كوحدة فنية داخل إطار فكرة المعنى والحبكة والأسلوب والسياق والتراكيب اللغوية والمفردات ذات الدلالة وثقافة المتلقى ، والأمر الأخير هو الأهم؛ لأن المتلقى هنا هو القارئ العربى وما يتلقاه مترجم عن لغة أخرى لقصص وضعت لقارئ آخر هو المتلقى لها والبيئة وإن كانت مختلفة جغرافيا ، إلا أن التشابه الثقافى ووجود عامل مشترك هو الحضارة الإسلامية يسهل على القارئ العربى فهم مغزى هذه القصص وما يهدف إليه ، ومن ناحية أخرى تمثل هذه القصص نماذج يمكن للمهتمين بالأدب المقارن الاستفادة منها ، ويلاحظ القارئ التشابه فى طريقة المعالجة الفنية بين أدباء باكستان وأدباء عالمنا العربى حيث يوجد صراع بين البيئة التى تمثل مثالية الكاتب وهى البيئة الإسلامية والبيئة التى تؤثر لا شعوريًا على شخصيات القصص وهى بيئة شبه القارة الهندية بموروثها القديم.

أما من ناحية لغة الترجمة فقد تم نقل المعنى إلى العربية مع المحافظة على ما يسمى فنيا بالتكنيك الموجود فى القصة بلغتها الأصلية

أى الأردية ، مع الحفاظ على جمال الأسلوب والسياق ونقل التراكيب الأردية إلى العربية .

وكما أُشير من قبل فإن كل قصة فى هذه المجموعة تمثل وحدة فنية بذاتها يمكن لدارسى الأدب المقارن الإفادة منها ؛ فالقصة الأولى بعنوان "تفاهم" للأديب محمد سعيد شيخ ، تصور حياة المجتمع المسلم فى شبه القارة الهندية والقلق الذى يصيب أفراده إذا ما تعرضوا لما يمس سمعتهم كمسلمين شرفاء حتى لو كان الأمر مجرد إشاعة ..

ومحمد سعيد شيخ من الأدباء الذين يعالجون فى قصصهم القضايا الاجتماعية من زوايا مختلفة ، وهدفه التعبير بصدق عن الحقائق الاجتماعية ، محاولا إبراز الجوانب الإيجابية فى المجتمع من خلال التركيز على القيم الصحيحة ، مما جعل لقصصه مكانة مرموقة فى الأدب الأردى .

وقصة " تفاهم " صورة معكوسة على مرآة محدبة لما قد يظهر فى المجتمع من انحرافات والكاتب هنا يمسك بأسباب القلق داخل المجتمع ويحوله إلى صورة إيجابية.

أما القصة الثانية فهى بعنوان الماضى والمستقبل للأديب المرموق ممتاز مفتى الذى يحتل مكانة عالية بين أدباء الأردية المعاصرين ، فقد أبدع فى فنون النثر المختلفة : فن القصة القصيرة ،وأدب الرحلات ، وفن المقال الصحافى الهادف ، وهو فى قصصه القصيرة يركز على الصراع النفسى الذى يظهر واضحا جليا على وجه الإنسان ، ويغير من مخططات حياته ، وعادة ما يركز الأديب أيضا على جانب اللاشعور فى شخصيات قصصه ، وهذا ما نلاحظه فى قصته " الماضى والمستقبل "،

ويرى الأديب ممتاز مفتي أنه لا يدير شخصياته كما يريد ، فهو تلميذ يجلس في مدرسة "الشخصية الإنسانية" وما يفكر فيه قد يتحول إلى قصة أو لا يتحول ، ومن هنا نلاحظ أن مقالاته التى تنشر أحيانا فى المجلات الأدبية تأخذ طابع القصة أو الأقصوصة أو الحكاية .

أما عن لغته فهو يقول : أنا لا أعرف اللغة الأردية والتعبيرات الأردية تفقد فى كتاباتى مفهومها أحيانا ، أنا أكتب خليطا من الأردية والهندية والبنجابية والإنجليزية ، وهذه اللغة أو بمعنى أدق هذا الشكل اللغوى وجد طريقه لدى شباب اليوم ، وسواء أعجبنا هذا أم لم يعجبنا فلن نتمكن من وقف الشباب عن التحدث بهذه اللغة أو منعهم أو حتى توجيه النصح لهم ، فلا فائدة من ذلك لأنهم يعيشون عصرهم ، ولا يمكن أن نرجعهم إلى عصرنا أو نفرض عليهم زماننا .

وهذا ما عبر عنه على لسان شخصيات قصته بعنوان الماضى والمستقبل وفى عدد آخر من قصصه مثل " بالجبر أى الاغتصاب " ومثل " الثروة ، والسلطة ، والهمس "

والقصة الثالثة فى هذه المجموعة بعنوان ساحة العرض " للأديب نجم الحسن رضوي" وهو كاتب قصة قصيرة يعمل بالصحافة فى إحدى دول الخليج العربى ، يبحث عن وقائع فى الحياة قلّ أن يعرفها سكان شبه القارة أنفسهم وبخاصة فى باكستان ، ويرى أن بعض الناس ممن يبيعون دموعهم يشاركون فى جريمة بيع دموع الآخرين ، بل وإضاعتهم فوق حبات رمال الصحراء الواسعة .

إن الألم الذى تولّده هذه القصة " ساحة العرض " بداخلنا يصيبنا بحسرة ولوعة ، ويفرى أجسامنا ويؤذى أرواحنا .. لكن من ذا الذى يتلذذ ببيع أرواح الأبرياء ؟! هذا ما تكشف عنه "ساحة العرض" .

والقصة الرابعة بعنوان "وخز" للأديب القدير أحمد نديم قاسمي ، و هو أديب باكستاني قضى طفولته وصباه في ريف منطقة البنجاب ، شاهد عن قرب حياة أهل الريف بجميع طبقاتهم ، ومن هنا وجدت شخصيات الريف طريقا إلى قصصه التي صاغها بأسلوب معبر يمتاز بالسهولة والبساطة .

ويمكن القول - باختصار شديد - إن أحمد نديم قاسمي أوجد مكانا رحبا للريف في القصة الأردية يذكرنا بمكانة الريف في كتابات الأديب العربي محمد عبد الحليم عبد الله مثلا مع الفارق في المعالجة لاختلاف البيئة والظروف ، وتشهد على ذلك مجموعته القصصية الأردية التي نشرها بعنوان "الحجر الأزرق " عام ١٩٨٠م ومجموعته الأخرى بعنوان " زهرة القطن" "أو نوّار القطن" إن صح التعبير ، وبسبب هذه القصص الرائعة نال أحمد نديم قاسمي شهرة في الأوساط الأدبية ،ذلك لأن أسلوبه في معالجة قضاياه (وطريقته في عرض شخوصه) مختلف عن أدباء الأردية الآخرين ممن عالجوا أيضا موضوعات الريف في قصصهم من أمثال الأديب غلام الثقلين نقوى والأديبة جميلة هاشمي ، والأديب صادق حسين وغيرهم .

و قصته " وخز " تعالج هوس جمع المال في أوساط "المستشيخيين" الذين اتخذوا من المزارات والأضرحة وسيلة لنهب واستغلال الناس البسطاء ،يفسدون عليهم عقيدتهم ،ويوقعونهم في حبائل الشرك بعد أن يكونوا قد أبعدوهم عن صفاء ونقاء عقيدة التوحيد التي هي أساس الدين الحنيف.

وتعد هذه القصة التى ننقلها عن الأردية إلى العربية – بأمانة ودقة ومراعاة تامة للنص الأردى – من الروائع الأدبية للأديب أحمد نسيم قاسمى .

أما القصة الخامسة "الوصية" فهى بقلم الأديب ستار طاهر – يرحمه الله – وهو من الأدباء الذين أجادوا كتابة القصة القصيرة ، وهذه القصة لم تنشر إلا فى أبريل عام ١٩٩٤م بعد وفاته ، وهو يعالج عادة القضايا الفرعية التى قد يظن البعض أنه لا قيمة لها على حياة الناس لأنها كما نقول فى العربية "لا تقدم .. ولا تؤخر.." إلا أنها فى نظر الأديب تكون ذات قيمة ، وبطريقة ضمنية يعرض الأديب لقضايا أخرى تمس الحياة الاجتماعية والظروف المحيطة ... ترى ماذا كانت قضية الأديب ستار طاهر ؟ وماذا كانت وصيته ؟!

تتضمن هذه المجموعة عدة قصص تعالج موضوع الغربة عن الوطن ومن هذه القصص القصة السادسة بعنوان "الابن والابنة والله" للأديب شمس نعمان وهو من كتاب القصة القصيرة المعروفين ، برع فى فن القصة ، واستخدم الرمز فى كتاباته ، وقصصه تدور حول المجتمع المحيط بنا ، وخلفيتها أيضا هى المجتمع نفسه ، وهو يجعل من الحقيقة مدعاة للحيرة وقصة "الابن والابنة والله" توضح مأساة المغتربين فى كل مكان فى باكستان وفى مصر وفى السودان وفى غيرها ، وهى توضح أيضا بعد قليل من التمعن عناصر محبة الثروة المتغلغلة فى داخل الإنسان ، تلك العناصر التى لو غلبت على صلات الدم أو صلات الرحم فإنها توجد مأساة أخرى .

كما تعالج القصة التاسعة فى هذه المجموعة قضية الغربة والمغتربين أيضا وهى قصة الأديب ظفر إقبال " نوبة قلبية " تعالج ما قد ينتج عن الغربة من مشاكل أسرية بين الزوج وزوجه ؛ فالزوج مغترب يعانى الوحدة والشقاء ، والزوجة تعانى وحدها داخل بيت أسرته ، ولا تجد حتى فرصة للانفراد به خلال إجازته القصيرة كل عام، فتقرر أن تشرح له معاناتها فى رسالة تكتبها إليه ، وحين يقرأ رسالتها يدرك الحقيقة ويصعب عليه تحمل مرارتها فيصاب لأول مرة بنوبة قلبية .

وظفر إقبال من الأدباء الذين يكتبون القصة القصيرة الهادفة فهو يعالج قضايا داخل المجتمع قد تبدو غير واضحة ، وهو هنا فى قصته نوبة قلبية يعالج قضية المغتربين من الباكستانيين وخاصة من يخلفون وراءهم أسرهم ويعيشون فى الغربة فتأكلهم السنوات دون أن يشعروا ، وبطريقة ضمنية يناقش قضية وضع الزوجة داخل بيت العائلة ومعاناتها وهى بعيدة عن زوجها المغترب ، ويؤكد المؤلف على هذه القضية التى تهم شريحة عريضة من أهالى شبه القارة الهندية الباكستانية ، بل ومن غيرهم فى بقية أقطار الدنيا..

وللغربة قضايا أخرى غير ما ذكرناه وهذا ما توضحه "سلمى ياسمين" فى قصتها (الرابعة عشرة فى هذه المجموعة) بعنوان "كرب" وسلمى ياسمين من الأديبات اللاتى يعبرن بصدق عن نبض الحياة فى شرايين المجتمع الباكستانى ، وقد حدث وسافرت خارج باكستان فأتيحت لها الفرصة لدراسة القضايا الاجتماعية والاقتصادية للمهاجرين من أهل وطنها ، فتألمت وحزنت لما أصابهم نتيجة لانقطاع الصلة بينهم وبين بيئتهم الثقافية والحضارية والدينية .

وقصة "كرب"، وهذا هو العنوان بالأردية ؛ إذ الكلمة مستخدمة بنفس معناها في العربية ، وتخصص المعنى هنا للحزن والألم الشديد يخنق الأنفاس – قصة من النوع الذى يعالج ضياع الإنسان المسلم فى متاهات بلاد الغرب ، ويعالج تدنى قدسية الروابط الأسرية ، وتوضح القصة كيف يعيش بعض المهاجرين في بلاد الغرب حياة تحكمها المادة ، على مستوى حيواني محض ،فهؤلاء يذوبون فى المجتمعات الغربية فينسون دينهم وعقيدتهم ، والقصة تصيب القارئ فعلا بالكرب ، وقد نجحت الكاتبة فى تبليغ رسالتها إلى القراء بوضوح .

والقصة السابعة فى هذه المجموعة بعنوان "جنى القمقمة" للأديب محمد صدر عالم صديقى الذى يعرفه قراء الأردية باسم إى حميد، وقد اشتهر بنقده اللاذع للمساوئ الاجتماعية من خلال كتاباته القصصية الساخرة ، وهو فى هذا الأمر لا يتورع أحيانا عن السخرية الواضحة ، أو تناول موضوعات تكون أحيانا فاضحة يكشف بها عن مساوئ قد لا يجرؤ غيره على تناولها ، حتى إنه تعرض ذات مرة للمحاكمة وقد برأت المحكمة ساحته.

يناقش إى حميد فى قصته " جنى القمقمة " قضية اتجاه بعض الجهلة فى المجتمع إلى الاعتقاد بالسحر والشعوذة واللجوء إلى من يدعون أنفسهم بالشيوخ الذين يسخرون الجن لحل مشاكل الناس وتلبية رغباتهم، ، كما يسخر ويتهكم على أولئك الناس الذين يعتقدون فى بركة وولاية أصحاب الأضرحة والقباب ، ويرى إى حميد أن هؤلاء الموتى أصحاب الأضرحة والقباب لهم تأثير على الجهلة يفوق تأثير الجن، وهو هنا يستخدم الرمز للوصول إلى هدفه كما يستخدم الدعابة والسخرية .

والقصة الثامنة بعنوان "شعاع الشمس الأخير" للأديب غافر شهزاد ، وغافر شهزاد من الأدباء الشبان الذين يحملون فوق أكتافهم هموم الشيوخ ، فى رأسه عدة عيون تمكنه من أن يرى الجهات الأربع دون أن يدير رأسه ، كما يمكنه أن يشعر بالحقائق دون أن يراها ، وقصة "شعاع الشمس الأخير" رغم أنها تبدو قصة تتعلق بالضرورات الإنسانية إلا أنها على مستوى آخر توضح الانتقام الربانى ، والقصة حكاية التقطها الأديب من أحد شوارع مدينة لاهور الباكستانية ووضعها فى سيارة أجرة ووصل بها حتى "عقب" باب البيت وهى مأساة .. لكن مأساة من ؟ هل هى مأساة الكاتب ؟ هل هى مأساة القارئ ؟ أم مأساتى أنا المترجم ؟ أم هى مأساة المجتمع كله ؟ لا بد أن المؤلف برع فى سبك هذه القصة القصيرة فتأثيرها يظل فى ذهن القارئ لمدة طويلة.

وللأديبة عقيلة كاظمى قصتان (العاشرة والحادية عشرة فى هذه المجموعة) : الأولى بعنوان "شوكة فى بستانك الجديد" والثانية بعنوان "ثمن الحرية" ، وعقيلة كاظمى أديبة معاصرة عرفت بكتاباتها القصصية الهادفة ، وهى تعبر فى قصتها الأولى عن حياة الأسرة بأكملها بدلا من عرض الصور الفردية للمرأة ، وتعبر قصتها هذه عن الصراع العاطفى داخل أسرة حطت عليها الثروة فجأة ، وتعكس بعدها النتائج المفزعة والشنيعة التى تظل فى ذاكرتنا على الدوام ، وهو أمر تتركه أيضا فى أذهاننا قصتها الثانية ثمن الحرية التى تحكى عن مأساة فتاة من كشمير .

والقصة الثانية عشرة للأديب ظفر حبيب بعنوان "أين أذهب" والأديب ظفر حبيب من الأدباء المعاصرين ، تمتاز كتاباته بالسهولة

والإمتاع ، وهو من مدرسة الأدب للحياة ، فهو يعبر بما يكتبه عن قضايا المجتمع ، ويصور الصراع الذى يعتلج بداخل المسلمين فى شبه القارة الهندية الباكستانية بأسلوب الرمز فيه أكثر تعبيرا عن الحقيقة ، وفى قصته (أين أذهب ؟!) يوضح مدى تسامح المسلمين مع جيرانهم من غير المسلمين ،ويصور ببراعة ما قد يتعرض له المسلمون من جراء التعصب ،ويثير فى نهاية قصته تساؤلا يستحق الاهتمام بعد أن شعر باستحالة التعايش مع جيرانه .. فهو يتساءل مخاطبا ضمير العالم على لسان بطل قصته قائلا : أين أذهب ؟

أما القصة الثالثة عشرة فهى للأديب منشا ديا بعنوان "الجذور" عبر فيها الأديب عن التربية الأصيلة التى تجعل ضمير الإنسان يستيقظ فيرفض المضى على طريق الخطأ .

والقصة الخامسة عشرة والأخيرة بعنوان "كشف" وهى للأديبة الشهيرة بانو قدسية ، وهى أديبة معاصرة ترى الحياة بعينيها، وتمزج هذه الرؤية من خلال تجاربها، وعادة ما تختار لقصصها تلك الشخصيات التى تعيش حياتها فى مفترق الطرق ، فتدرس قضاياهم وتحللها ، وتتعاطف أحيانا مع شخصياتها فتجعل من حياتهم حكاية تنقلها إلى القارئ ، ليطلع هو أيضا على جوانب حياة هذه الشخصيات فيشاركهم همومهم .. وفى كتاباتها نشعر دائما أنها أم حنون تجلس .. ومن حولها .. وفى حضنها العديد من الأطفال .

وقصتها " كشف " والعنوان هكذا بالأردية أى كشف الوجه أو كشف الإنسان عما بداخله والتعبير والإعلان عنه – قصة تتناول القضايا الاجتماعية والمتاعب العائلية ،والأحداث يتم سردها بأسلوب الأديبة

الرائع الذى تتميز به ، ويلاحظ القارئ أن النتائج لا تأتى عادة طبقا للتوقعات ، فالأديبة عادة توضح جانب اليأس لدى شخصياتها ثم تجعل هذه الشخصيات فى النهاية ترفض اليأس وتبدأ حياة كلها أمل ، فضمير - وهذا اسم البطل فى قصتها "كشف" نراه رغم يأسه طوال حياته يعبر مفترق طريق الكراهية والحب ليتخلص من أسلوب الحياة الذى لم يمكنه من اتخاذ قراراته، ويكشف عن ذلك بوضوح بعد أن ظل لسنوات طوال يكتم كل شيء بداخله .

وقد تناولت قصتها الحياة الاجتماعية داخل حارة صغيرة وهى تتعاطف مع شخصياتها وتود أن تساعدها فى اتخاذ قراراتها بنفسها وذلك عن طريق كشف الحقيقة بوضوح، وعن طريق الكشف عن المشاعر الصادقة.

وفى الختام لا يسعنى إلا أن أقدم الشكر الجزيل للمجلس الأعلى للثقافة ، والقائمين عليه الذين تبنوا فكرة نشر هذه الأعمال الإبداعية ، إيمانا منهم بأهمية إثراء المكتبة العربية بما أبدعه أدباء العالم فى الشرق والغرب .

وبالله التوفيق ...

سمير عبد الحميد إبراهيم

تفاهم

محمد سعيد شيخ

بدأت المسيرة . . وضمت فى معظمها أولئك الناس الذين شاهدوا الواقعة ، مرت المسيرة فى الحوارى والأسواق حتى وصلت إلى الشارع الرئيسى فضمت إليها كثيراً من الناس بالإضافة إلى من رأى الواقعة ،ومن سمع عنها ، وهكذا صارت تلك المسيرة أكبر مسيرة فى تاريخ القرية . . كان هذا فى الأصل احتجاجا على واقعة حدثت فى الصباح إلا أن جمهور المحتجين ضم أناسا من كل أنواع البشر، أناسا لا علم لهم أصلا بالواقعة ،لكنهم يحملون بداخلهم مشاعر الاحتجاج . . فانضموا إلى المحتجين وتظاهروا معهم . .

خرجت فى هذه البلدة من قبل مسيرات فى مناسبات دينية أو احتفالات قومية إلا أن هذه أول مسيرة من نوعها يخرج فيها الناس احتجاجا على الظلم والإجحاف ، كان هذا هو الاحتجاج الأول من نوعه ، ولم يكن الأمر لأن هذا هو أول ظلم وقع فى البلدة ،أو أول إجحاف بحق الناس . . فكم من ظلم . . وكم من إجحاف تعرضت له البلدة : " نوران " اختطفت من السوق فى " عز النهار " ، اختطفها بعض الملثمين ، ولا يزال أبوها يدور فى الحوارى والشوارع

يقول إنهـا موجودة في "دوار العمـدة" الكبير في القـرية المجاورة ، ومع هذا لم يعثر لها على أثر يذكر . . ولا يزال صوت أبيها يبح من النداء على ابنتـه (انضم والد نوران إلى المسيـرة، وكان أول من ألقى بالحجارة على مدخل محطة السكة الحديد.

ولا تزال أرملة "غـلام رسول" الشـابة على قيـد الحياة أيـضا ، وكانت ضمن المسيرة وراحت تنظر إلى ذلك المستشفى الذى توفى فيه زوجها ـ أبو أولادها - نظرات كلهـا غضب وثورة ، فلم يجد الزوج المرحوم العلاج ولا الدواء في الوقت المنـاسب ، فظل يعانى ويقاسى حتى "طلعت" روحه إلى الرفيق الأعلى .

وفي الميدان الذى وقف فيه الناس يصيـحون ويهتفون بكل عزم ، وقبل أيام لقى الفتى الناصـر ابن فاطمة تشبورى حتـفه تحت عجلات عربة النقل الضخمة التى سحقـت عظامه ، وقام والد السائق فجعلها توقّع على أوراق تنازلها عن القـضية في مخـفر الشرطة مقـابل ورقة مالية فئة المائة روبية . . وفي هذه المسيرة أيضا اشترك جمال دين وهو فلاح سلبـه أحد الإقطاعـيين أرضـه، وأكثر من هـذا رفع قضيـة ضد أولاده الثلاثة ،واشـترك أيضا في المظاهرة "داتاناثى" الذى قـام جاره بتهريب زوجته، ولم يتمكن داتاناثى من إقامة دعوى ضده حتى الآن .

مـثل هذه الوقائع وغـيرها حـدثت من قـبل إلا أن هذه المسيـرة خرجت لأول مرة ، ولأول مرة يبدر من الناس رد فعل جماعى .

ربما كـان سبب هذه اليـقظة التى ظهرت فى البلـدة قرب انعـقاد الانتخـابات التى ستعـقد لأول مرة بعد فـترة طويلة ، فتـذكر الناس آلامهم ومآسيهم التى تناسـوها قبلا ؛ إذ فهم أهل القرية من أول يوم وقبل أن يكتب تاريخ بلدتهـم أن الظلم - الذى تعرضوا ويتعـرضون وسيـتعرضـون له - قدر من الله ، وأنه مشـيئة الله ، فـرضوا به ، وكانت خطبة مولوى عبد القدوس خطيب المسجد الجامع مؤثرة تماما، وكان صوته لحنا داؤوديا ، وهو ينشـدهم دائما أشعار العلامة مـحمد إقبال ، كم من مرة راح يقول لأهل البلدة :

"المصـيبـة والبلاء امـتحـان للعبـد من ربه ، ومن يتحـمل هذا الاختبار هو فى الأصل المسلم الصابر، وهو الرجل المؤمن الذى وصفه العلامة إقبال فى شعره . . وأن الله مع الصابرين"

ثـم يقول :

"لا يمكننا أن نحارب المقدر أو المكتوب على الجبين ، أو نتصارع مع ما كـتب علينا ، والتسليم بمشـيئة الله يرقـق من طبع الإنسان ، ومرة بعد مرة وبالتدريج يصبح البلاء سهلا محتملا ،والتاريخ يخبرنا بذلك وحكيم الأمة العلامة إقبال يقول : . . . . "

ثم ينشد مولوى عبد القدوس أشعار إقبال برقة شديدة. . .

إلا أن مسيرة اليوم تبـدو وكأن الناس يريدون أن يصدروا حكمهم بأنفسهم أو يقرروا مصيرهم بـأنفـسهم . . . لم يكـن للمسيرة زعيـم

أو قائد كما راح كل إنسان يهتف بما يشاء وكما يشاء ، وحين وصلت المسيرة إلى الشارع الرئيسى بدأ الناس يهتفون : أوقفوا "البلطجة" . . أوقفوا الشغب والفوضى . . أوقفوا الظلم . . وتوقفت حركة المرور من جهتى الطريق . . . اشنقوا "شيدا" . . اعدموا "شيدا" . .

وخرج خلق كثير من جوف الحافلات والسيارات الخاصة وسيارات النقل الصغيرة التى توقفت على جانبى الطريق ، وراحوا يشاهدون ما يجرى أمامهم . . بدأ المشاركون فى المسيرة يحطمون إشارات المرور ، بينما قام البعض بوضع الإطارات فى الشارع وإشعال النار فيها ، فبدأت أعمدة الدخان ترتفع وتظهر من بعيد ، ثم جاءت الشرطة فبدأت تحاول تفريق الناس بضربهم بالعصى والهراوات. . فتفرق الناس وعاد المرور فى الشارع كما كان عليه من قبل . .

فى هذه المسيرة اشترك والد زينب أيضا ، زينب التى حدثت واقعتها صباحا . . تفرق الناس وانتهت المسيرة ، ووجد أبوها نفسه وحيدا واقفا على "كومة" من القاذورات بجانب قناة مائية صغيرة تنساب على طول الشارع ، راح يشاهد بتعجب وذهول منظر الناس وهم يتفرقون ،والدخان وهو يتصاعد أعمدة فى السماء . .وكذلك منظر فوضى المرور وربكته الشديدة . .

راح "بركة" يفكر وهو يقف بين كومة القاذورات متى بدأ يحلم بتعليم ابنته زينب ؟ كان يملك عدة قراريط من الأرض . . . لا يدرى متى ومن أين جاءت إلى ذهنه فكرة أن التعليم يميز بين الإنسان

والحيـوان ! كان يعرف أن الحيـاة التى عاشهـا حتى ذلك الوقت هى بمستوى حيـاة الحيوانات ، فكلاب السادة فى قريته ومـا حولها تعيش حيـاة أفضل من حياته ، ولهـذا فكر أن يرفع من شأن ابنته الوحـيدة زينب فيتيح لها فرصة التعليم . . . وعارضته أم زينب قائلة :

"يا هو . . يا هو ! عـشنا وشفنا البنات يتـعلمن . . صديـقات زينب فى استعـداد الآن للزواج وأنت يا بركـة ترسلها إلى المدرسـة . . أتظنك تعمل منها معلمة ؟! "

وكان بركة يبتسم لحديثها ويقول :

"يا جاهلة . . امرأة! والأدهى والأمرّ جاهلة . . . ما أدراك بأن العلم قد ارتقى وتطور . . ؟!"

كان بركـة قد سمع حديث الأسـتاذ محـمد دين عن رقى العلوم وتطورها ،وسمعه أيضا يقـول بأن المرأة الآن وصلت حتى إلى القمر . . . ونساؤنا تراهن كـالخارجات من القبـور . . ! والأمة التى تكون نساؤها جاهلات لا يمكن أن ترقى أو تتطور . .

هكذا قرر الأستاذ محمد دين ، وكلام الأستاذ محمد دين بالنسبة لبركة كلام مصدق "لا يخر الماء" ، وكان بركة الذى نال كل معارفه وتعليـمه بدون مدرسـة يرجع فضل ذلك لأقـوال وأحاديث الأسـتاذ محـمد ديـن ، فمـاذا يمكن أن تفهم زوجـته الجـاهلة هذه ما يقـوله الأستـاذ محمد دين ؟! ولهـذا قام بركة بالاهتـمام بتعليم ابنتـه حتى حصلت على شهادة الثانوية وبعدها ألحقها بالمعهد - فى البلدة الكبيرة

المجاورة لبلدتهم وهو معهد سيعـدها للتخرج للعمل مدرسة . . ومرة أخرى تصيح أم زينب نادبة حظها :

"لقد صـارت البنت شابة يـا بركة ! زوّجهـا . . هذا هو أطيب عمل . . زمـيلاتها الآن فى أحـضانهن ثلاثة وأربعة أطفـال . . ماذا يفيدها العمل مدرسة ؟!

بين كومة القاذورات راحت كلمات الزوجـة تتردد فى أذنيه فانتبه فزعا. . . بينما كانت المسيرة قـد تفرقت وعاد المرور إلى ما كان عليه كأن أحدا لم يهتم بما دار حوله منذ قليل . . كانت الإطارات لا تزال تحترق فى الشارع ، أخذ بركة يجر أقدامه كأنه يعد خطاه متجها ناحية البيت. . فهو يعـلم أنه سيجد فى البيت زوجته تلـطم وجهها وتندب حظها ، فـقد كانت تعتبـره المسئول عمـا حدث لزينب لأنه هو الذى أرسلها لتتعلم . .

دخل البيت فوجد الصمت يخيم عليـه ، كان كالقرافة (المقبرة) التى دفن فـيـها أحـد الموتى منذ لحظات . . كـانت زينب ترقـد فى الحجرة الخلفية وأنفاسها تخرج من صدرها الذى يعلو ويهبط بصوت مسمـوع ، بينما رقدت أمهـا بطريقة معكوسة على السـرير الخشبى القابع فى صحن البيت، وكانت قد أوصدت مزلاج الباب من الداخل حتى لا تسمح للمتعاطفين معها القادمين للاستفسار عن حالها بالمزيد من إقلاقهـا ومضايقتـها . . أما زينب التى كانت حـتى هذا الصباح تعتبر نفسها ملكة جميع الكائنات فقد أخذت تتحرك هنا وهناك وهى

تخفى وجهها ، كانت تظن أن مباهج الحياة تخرج من أنفاسها ، وأن الهواء لا يمس إلا جسمها، وأنه يلاطف فقط شعرها ويهف ملابسها ، وأن جميع ألوان الورود ظهرت لها، وأن السحاب يمضى ويمطر من أجلها والطيور تغرد والعصافير تشقشق لها، والسماء واسعة زرقاء فقط حتى تراها هى دون سواها . . كانت تقف فى بيتها الطينى مساء أيام الصيف تتطلع إلى البيوت البعيدة ، وتنظر إلى خضرة الحقول وتتطلع إلى السماء وإلى الجبال العالية ثم تنشر ذراعيها تتمنى من صميم قلبها أن تحتوى جميع الكائنات بين أحضانها، وحين تنام مع أمها فى الليل تروح تضم أمها أحيانا بشدة فتصيح الأم وتصرخ :

"ما لك يا بنت . . ! لماذا تطبقين علىّ هكذا ؟ آه عظامى لم تعد بهذه القوة التى تتحملك"،

ثم تقول لبركة فى اليوم التالى :

"عليك أن تزوج زينب بسرعة . . البنت لا يمكن أن تسيطر على شبابها . ."

فيضحك أبوها . . .

"لم يحن الوقت بعد . . لقد أصبحت الآن مدرسة . . اتركيها تعلم الأولاد ، يقول الأستاذ محمد دين إن التدريس أعظم عبادة" .

كانت زينب حين تمشى ذاهبة إلى المدرسة تحرك أقدامها وكأنها تمشى فوق النجوم ، ألبسها والدها العباءة والبرقع ؛ إذ كان عليها أن

تختـرق السوق فى ذهابـها وإيابها . . . كـان بيت "شيـدا" يقع فى طريق زينب ، فكان يستعد وقت ذهابها إلى المدرسة فيقف على باب بيـته ، ويحـاول أن يلفت نظر زينب إليـه بشـتى الطرق ، ووصلت محاولاته أحيـانا إلى حد اعتراض طريقها أو الدندنة وإصـدار صفير خافت . . كـانت زينب لا تعيـر أحدا أى اهتمـام ؛ فهى ترى أنه لا وجود فى الدنيا لأحد سواها وشيـدا بالنسبة لها لاوجود له ، فكيف تعيره اهتمامها . . هذا بينما أصدقاؤه يسخرون منه ويهزؤون :

"يا صاحـبى . . هذه الفتـاة لا تلتفت حتـى إليك ، ولا تقدرك حتى قدر قشة . . يا صاحبى إنها لا تهتم حتى بوجودك . . ما فائدة تجولك هنا وهناك ؟ مـا فائدة ملابسك " المنـشّـية " المكوية ، وهذا العطر الفواح . . ؟!"

وكان شيـدا المسكين يسمع ما يقال وما يصـدر من أصحابه ويرى سخرية رفاقه فيصيبه الخجل ، ومرة قال له أحدهم :

"انظر يا صاحبى . . آه لو استطعت أن تنزع عنها البرقع فتكشف وجهها لكل من فى السوق . . . "

فاستـجمع قواه ، وأخذته العزة بالإثـم ، وفى وسط النهار سار بجوار زينب ثم تقدمـها . . . وفى اليوم التالى تجرأ فقـال لها بصوت منخفض :

"إذا لم تنزعى عنك نقابك فسوف نرى . . " .

لكن زينب لا ترى أحدا ولا تهتم على الإطلاق بشيدا وهى تحتاط منه كما تحتاط حين تشاهد بعض الميـاه الوسخة ملقاة فى الطريق ، فهى تتذكر دائما كلمات أبيها التى يسمعها من الأستاذ محمد دين :

"حين يكون الإنسان متعلما مثقفا لا يمكن أن يناله أى عيب" ،

ثم كان يوم الواقعة . . مضى شيدا يمشى بجوارها وخاطبها قائلا :

"أقول لك أرنى وجهك . . . لقد تراهنت مع أصدقائي"

وزينب لا تهتم بما يقول كـأنها تسمع شحاذا يتابعـها يطلب منها صدقة . . ثم تقدم شيدا إلى الأمـام ،وفى وسط ميدان السوق قبض على ذراع زينب وأوقفها :

"ألا تستطيعين أن تريني وجهك ؟! ماذا تظنين نفسك ؟ انظرى . . انظرى . "

وسحب شيدا النقاب من فوق رأسها فانكشف وجه زينب وانحل عقد شعرها فانساب على كتفيها وغطى ظهرها . . وراح شيدا يحدق فى وجهـها ثم ألقى بالنقاب فى غـضب على الأرض وصفعـها على وجهها بشدة ،وانطلق دون أن يقول كلمة . . .

حاول كل من شـاهد هذه الواقعـة فهم مـا حدث . . لكن دون جدوى حـتى زينب نفسـها لم تدر كيف حـدث ما حدث،وشـعرت بالتنميل علـى وجنتيها ، وعـلى لسانها أحـست بطعم الدم ، وتقدم أحدهم فوضع النقاب على رأسها ،ولم تتذكر بعد ذلك شيئا . . من

أخذها إلى البيت ؟ . . ومن هذا الميدان . . ميدان السوق بدأت مسيرة الاحتجاج . . .

أثمرت مسيرة الاحتجاج عن إدراج قضية ضد شيدا وتم اعتقاله ، وعرضه على المحكمة المحلية . .ورفض الإفراج عنه بكفالة وشاع خبر القضية بكل تفاصيلها فى أنحاء البلدة ،وشاعت حكايتها على كل لسان، وكان ذكرها خارج بيتها بنفس القدر الذى ذكرت به داخل بيتها وهكذا وضعت زينب نفسها فى سجن اختيارى داخل البيت ، وامتقع لونها وغطتها سحب الحزن القاتمة وعمت الظلمة وراحت تخشى الخروج من عتبة دارها.

حين رفضت المحكمة العليا أيضا الإفراج عن شيدا بكفالة ساور القلق والديه وأصدقاؤه؛ فقد بدأوا يشاهدون شيدا بين قضبان السجن مقيد اليدين . . وذات ليلة قام والده ووالدته وأصدقاؤه بتشكيل وفد اتجه إلى بيت بركة والد زينب .

أجلسهم بركة فى صحن الدار ، كان من بينهم بالإضافة إلى والد شيدا ووالدته بعض معارف بركة منهم مولوى عبد القدوس والأستاذ محمد دين أيضا . . بدأ هبة الله ـ والد شيدا – الحديث فقال :

"أخى بركة . . نحن فى منتهى الخجل والإحراج مما ارتكبه ابننا شيدا فى حق ابنتكم زينب ، وعلى كل حال فهو ليس بالولد السيئ لكنه متهور قليلا ، لقد جئنا نطلب منك العفو والصفح عما بدر منه . . لقد كان السبب الأصلى فى هذه الشقاوة أصدقاؤه . . لقد

خدعوه، وعلى كل حال فنحن آسفون ، وزينب كما هى ابنتك ابنتنا أيضا " .

ظل بركة وزوجته صامتين لم يدر أحدهما ماذا يقول، وهنا أخذت أم شيدا تربت على ظهر أم زينب قائلة :

"وأنت يا أختاه . . اعف واصفحى عن ابنى، فالمسكين قابع فى السجن منذ شهر بأكمله . . "

واغرورقت عينا أم زينب بالدموع :

"انظرى إلى حال ابنتنا أيضا . . لقد بدأت تخاف حتى من النور . . لم تعد لها همة على الخروج من البيت . . لقد تحطم مستقبلها تماما " .

"نحن نقدر مدى حزنك يا أختاه ! فنحن أيضا أصحاب بنات، ولهذا فإن كنا جئنا نطلب منكم العفو والصفح فإننا نطلب منك أن تجعلى من زينب ابنة لنا بحق وحقيقة . . " .

ووضع هذا الاقتراح الذى قدمه والد شيدا بركة وزوجته فى حيرة بدت على وجهيهما وهما يستمعان إليه ، وبينما هما على هذه الحالة تقدم أحد أصدقاء بركة ويدعى فقير محمد صاحب محل لبيع الحليب فقال :

"أخى بركة إذا كان النصيب قد كتب اسم زينب وشيدا معا فلنا أن نعتبر هذا من عند الله ونقبل به وفى هذا عزة لنا . . أليس كذلك يا شيخ ؟! "

"نعم.. صحيح .. فقير محمد ... صحيح ، لله فى كل أمر حكمة، ونحن لا يمكن أن نعارض التقدير الإلهى، ثم إن العفو من أطيب الأمور، والله يحب العافين، كما أن العلامة إقبال أيضا قال :... ".

لكن بركة لم يصبر حتى يكمل المولوى حديثه فقاطعه :

"لكن يا فضيلة الشيخ نحن لا يمكننا أن نُرى وجهنا لأحد الآن .. ".

"ولهذا فقد أصبح هذا الأمر ضروريا يا أخى بركة ، إن ما يحدث فى هذه القضية من مرافعات وغير ذلك من أمور مخجلة يصيب أهل الفتاة أكثر وإذا ما وقع عقاب على شيدا وصدر حكم ضده فهل يرجع لك هذا عزتك ؟ ثم ذهاب زينب إلى المحكمة ودفاع المحامين والمرافعات وما إلى ذلك ... ماذا يفيدك كل هذا ؟ فالولد ولد ماذا تفرق معه ..؟ فقط اسم ابنتك ستلوكه الألسنة "جاء كلام عمدة البلدة دليلا على صحة الرأى السابق، وكان له وزنه فى الجلسة؛ فراح بركة يبحث عن رد ، وغرق مع زوجه فى تفكير عميق بينما عادت أم شيدا مرة أخرى تستعطف أم زينب :

"فكرى يا أختاه .. شيدا ليس بالولد السيئ ، ما شاء الله شاب كسّيب . . .له نصيب من أرض والده ثم هو معجب بزينب أيضا، لهذا دفعته عاطفته القوية لارتكاب تلك الحماقة ، ثم البنات هذه الأيام لا يجدن من يتزوجهن ،وزينب بالنسبة لكم ستكون مشكلة كبيرة ".

كانت زينب تجلس فى حجرة أحكمت إغلاقها بجوار صحن البيت الذى يشهد تبادل الحديث عن موضوعها ، وكاد رأسها أن ينفجر وهى تحاول فهم كُنه كل هذه الأحاديث التى تدور فى الخارج . . كل ما فهمته على أكثر تقدير أن ما يدور من حديث يتعلق بها سواء كان الحديث عن السماء أو عن الأرض؛ فهى لا تدرى شيئا . .

"لكن ماذا سيقول الناس ؟!" خرج هذا السؤال من فم بركة كأنه الصراخ ليعبر عما بداخله من ألم متمكن .

"مالك والناس يا بركة ، اترك الناس فهم الآن أيضا يثرثرون . . ألم تسمع ؟! وإذا لم تسمع فهذا أطيب" .

"هل يمكن لأحد أن يغلق أفواه الناس أو يسكت ألسنتهم، ثم إن هذه الواقعة لم يمر عليها سوى أيام . . . والناس هنا سوف ينسون كل شىء . ." .

توقف عقل بركة عن العمل ، كان يريد أن يفكر ويزن الأمور ، كان يريد أن يميز ويعرف ما هو الأطيب . . إلا أن جميع ما سمعه من كلام راح يتراءى له أمام ناظريه لا يترك له مجالا للتفكير .

كان الرجل وزوجته قبلا فى اضطراب وقلق ، وحرما على نفسيهما الطعام والشراب، فكل يوم كلام جديد وحديث جديد وامرأة تحكى حكاية، وأخرى تروى رواية واستوت أذناهما، بينما زينب كانت تجلس وحيدة مضطربة قلقة . . وحكيت آلاف القصص

والحكايات، والقضية كانت على وشك أن ينظر فيها . . واسم زينب وشيدا لم يكن فى أوراق المحكمة فقط بل كانا أيضا على ألسنة الناس؛ فقد انعقدت بينهما علاقة لو حاولا بأنفسهما فسخها لما سمح لهما الناس بذلك ، فألسنة الناس حفرت على يدى زينب اسم شيدا بينما قيد شيدا زينب بقيده فى هذه الدنيا ، فهى لا يمكنها أن تهرب من شيدا إلى أى مكان ولو حاولت الهروب أيضا فسوف يبحث عنها الناس ويسلمونها له .

سمع بركة كل هذا وظل ساكتا ، وسكت أيضا الأستاذ محمد دين، وصمت مولوى عبد القدوس . . ورئيس الشرطة أيضا ! . . جاء مع كل هؤلاء فقال موجها كلامه إلى الأستاذ محمد دين :

"أنت لم تنطق حتى الآن برأيك . . ماذا يرضيك ؟

ورفع الأستاذ عينين مليئتين بالرجاء ونظر إلى بركة :

"أخى بركة . . ما جرى هنا كله . . هل جرى برضائك ورضائى ؟! نحن نتحدث أيضا برضائنا دون ضغط من أحد . . فقط هز رأسك فهذا هو أهم شىء" .

وسواء عرف الناس ما يقصد أو لم يعرفوا ، فهم بركة كلام الأستاذ ورد :

"أفهم . . أفهم يا أستاذ ،لقد تحدثتم بكلام مختلف، لكنك أيضا أستاذ، و"طلعت" "إنسان كعامة الناس . " قال بركة هذا بصوت كله يأس .

"نعم أنا مثل عامة الـناس . . إنسان عادى . . لا يمكن أن أكون مختلفـا . . من منا يصعد إلى المشنقة ؟! من منا على اسـتعداد لأن يظل مصلوبا طول الوقت ؟!"

وسلم بركة بهذا الكلام . .

ومثلما وضع "بصمة" إصبعه عل الأوراق الخاصة بسحب القضية وضع "بصـمة" إصبـعه على عـقد زواج شـيدا وزينب ، ففى كـلتا الحالتين تظل "بصمـة" الإصبع أكثر اعتبارا من "التـوقيع" باليد . . فالتعليم يفيد فقط في الدرس والتدريس !

تمـت

الماضي والمستقبل

ممتاز مفتي

كان المنظر من حوله بديعا، ومع هذا فقد كان غارقا فى خيالاته وأفكاره، لا يدرى ما حوله ، انتهى امتحان البكالوريوس فجاء مع زميل دراسته ناصر للنزهة ، كان يود أن يواصل دراسته للحصول على درجة الماچستير ، حتى يجد فرصة للبقاء بعيدا عن البيت لعامين آخرين ، إلا أن والده عارض الفكرة بشدة ، والآن يجب عليه أن يرجع إلى البيت ، وبعودته إلى البيت يبدأ نقاش موضوع الزواج ، فالوالدة تلح عليه منذ مدة تريده أن يتزوج ، أما هو فلم يكن يرغب فى الزواج ، وحتى يُطمئن الأسرة أخبرهم أنه سيفكر فى الأمر بعد البكالوريوس ، وهكذا لم تعد هناك ذريعة ، ولا حُجة تمكنه من إقناعهم بتأجيل مناقشة موضوع الزواج ، فأخذ يفكر : ما العمل الآن ؟! وشعر فجأة كأن سحابة تظله ، فرفع رأسه وتطلع فإذا بخفير الاستراحة العجوز يقف أمامه ، وبيده مظروف ملون . .

قال :

- سيدى . . أنت نجل السيد . .

هز عماد رأسه بالإيجاب ، فقال العجوز :

- هذا الخطاب لك يا سيدى . .

- خطاب لى ؟! من أعطاك إياه ؟!

- سيدتى فى الحجرة رقم سبعة عشرة . . فوق . . وتقول إنه من الضرورى أن ترد على هذا الخطاب ، وسوف أحضر غدا فى نفس الوقت لآخذ الرد . .

سلم العجوز الخطاب لعماد ، وانطلق عائدا من حيث أتى ، بينما ظل عماد فى حيرة من أمره ، ممسكا الخطاب فى يده . .وهو يتساءل : من هذه يا تُرى ؟ قرأ الخطاب ، وبهت إلى أبعد حد . . فقد تضمنت سطوره العبارات التالية :

"سيدى العزيز ! أنا خطيبتك ! أنا لا أريد الزواج بك ، ولأنى فتاة لا يمكننى الإعلان عن رفضى ، ولهذا أطلب منك أن تختلق أى عذر لترفض الزواج بى ، فإن لم تفعل ، فحياتنا معا ستتحطم . . أرجوك استجب لطلبى هذا ، لابد أن تكتب الرد على خطابى هذا . . رد من كلمتين . . واحرق الخطاب . شكرا جزيلا ومع السلامة" .

قرأ الخطاب ، وأصيب بالصدمة ، ففيه احتقار له ، فى وقت وجب عليه أن يفرح لمثل هذا الخطاب ، لا شك أن " عتيقة " كانت خطيبته ، لكن خطبته عليها تمت بين الآباء ، فيما بينهم ، فلم يكن قد رأى عتيقة ، أقام والده حفل الخطوبة بطريقة جعلت الجميع ينبهرون ، ويتحدثون عنها ، لكن ذلك كان فى وقت أُعتبر فيه نجل

أبناء الذوات المدلل . . ثم التحق بالكلية ، تلك الكلية التى أربكت عقله ، فجعلته ينفر من البيت ، بيت الذوات ، لم يعد يرغب فى العودة إلى بيت والده الشيخ الذى يهيمن على الناس بوقاره المصطنع ، لم يكن يود أن يعيش كأحد أبناء الذوات ، ثم يموت كأحد الشيوخ المقدسين - فى أنظار الناس !

فى الكلية رأى البنات ، فقرر ألا يتزوج عتيقة ، لم تكن أسرة عتيقة تعجبه ، كان ينظر إلى والدها "العلامة نور الدين" وكأنه مخلوق جاء من عالم آخر ، فجميع أحاديثه مختلفة عن أحاديث بقية عباد الله ، ولباسه أيضا كان مختلفا عن لباس بقية الناس : عباءة بيضاء براقة فضفاضة مهلهلة ، وصدرية سوداء باهتة ، وعمامة بيضاء فوق خصلات شعر معقوصة ! وعينان محاطتان برموش كالأشواك . . كان يراه إنسانا قد زينوه بأدوات التجميل ، وصنعوا له "مكياجا" ليقوم بتمثيل دور ما على مسرح الحياة ، كان فى اهتمامه بهندامه وبنفسه لا يمكن إلا أن يشبه المرأة ! ولم يكن الأمر مقتصرا على الشكل فقط بل كانت طريقته وحركاته مختلفة تماما عن طريقة وحركات أى إنسان عادى ، فقد كان "العلامة نور الدين "يتكلف الظهور بمظهر "الذواتِ" ، وكان يحاول أن يدخل فى صوته نبرات عجيبة ، فكان الصدى المصطنع الذى يخرج من حلقه بصعوبة أثناء الكلام قد أثر على الأحبال الصوتية لديه ، وهكذا حُرم تماما من القدرة على الحديث بطريقة عادية كبقية خلق الله .

وكانت الهالة التى أحـاطت بشخصية العلامـة نور الدين العلمية والتشريفية هالة ضخمة حتى إن الإنسان يظل يقاسى من تحتها . .

وكان عـماد قد رأى أم عـتيقـة أيضا للحظة واحـدة حين رفعت برقعها الحريرى الأسود، آه . . كأن ستارة قد ارتفعت من فوق المسرح ، وكأن مهرجـانا من الألوان والأشكال تراءى له ، ومن الواضح أنها لم تفعل بنفسها هذا كله ، لكن هناك من هيأها وجعلها تبدو بهذا الشكل ، فليس فيها مـن صفات الحسن النسائى شىء يذكر ، فالحـسن الطبيعى تراه فتذوب تأثرا به ، ويدخل على قلبك البهـجة والمحبة والسرور . . الحسن الطبـيعى يهز الإنسـان ، يوقـظه، يقول له انهض ، والنداء هنا ليس نداء عاديا بل هو نداء خاص ، انهض وإلا فلن تكون هناك قيامة بعد هذا . . هذا هـو نداء الحسن الحقيقى . . لا . . لا . . لن أتزوج بفتـاة أبوها هكذا ، لن أتزوج بفتـاة هذه أمها . . وإن كـان لم يفهم كيف ينفذ قراره هذا.

أوجد جو الكلية كل هذه "اللخبطة" فى داخله ، فارتبك كثيرا . .

فقبل قـدومه إلى الكلية ، كان يقضـى حياته فى سكون وهدوء ، مطمئنا لا يعكر صـفو حياته شىء ، كـأحد " أبناء الذوات " يرتدى صباح مساء الملابس البـيضاء الفضفاضة ، ويزين رأسه بعـمامة بيضاء "محبوكة" على رأسه ، ويجلس إلى وسادة أثيرة : إنه ملاك صغير ، ينحنى الناس أمامه ، احتراما وتقديرا ، ويلمسـون قدميه تلمسا للبركة، ثم يتربعون باحـترام شديد ويجلسون أمامـه ، وبجواره والده صاحب

المقام العالى والجاه ، على وجهه نور ، وسمات الحلم تبدو عليه ، فى يده مسبحة تتحرك حباتها بين أصابعه دون توقف ، بينما شفتاه تتحركان كآلة تنطق بالحمد والثناء ، ومن حوله مريدوه والمعتقدون فى بركاته ! يتزاحمون عليه تزاحم النمل على الشهد . .

وكان صاحب المقام العالى والجاه لا يرغب فى أن يتعلم "المحروس" ابنه فى الكلية ؛ إذ كان يعتقد أن التعليم فى الكلية مجرد خرافات ، فهو يرى أن العلم قاصر على التعليم الدينى دون سواه ، وعارضت أم عماد الفكرة ، وثبتت على موقفها حتى أذعن صاحب المقام العالى ، وكان هذا بتدبير من أخوال عماد . .

وفى الكلية بدأت حياة جديدة . . أصوات جديدة . . طرائق جديدة فى التعامل . . وجوه جديدة ، وشعر الفتى فى هذا الجو وكأنه لا شىء . . فهذا يناديه : هيه أنت . . . وآخر يصيح فيه : أوه . . إيه . . اضطرب كثيرا فى البداية ، وتلخبط أمره ، شعر كأنهم ينزلونه من فوق عرش عال ، ويضعونه على الأرض ، وهكذا ظل مضطربا لشهر أو شهرين ، ثم استيقظت بداخله تدريجيا مشاعر وأحاسيس جديدة ، وصار لهذه الأصوات والنداءات والتعاملات مفهوم جديد ، شعر أن هناك صداقة حقيقية بينه وبين أقرانه ، وأن هناك زمالة بالمعنى الصحيح . . فى الأصوات التى تناديه حرارة ، وعفوية لا يشوبها تكلف ، ربطته بأصدقائه محبة وعلاقة حميمة ، وإخلاص ما بعده إخلاص ، وهذه المشاعر لا يمكن أن تتأتى إلا من خلال التعامل بين

الزملاء على قـدم المساواة ، ولأول مرة يشعـر عماد بلذة التـعامل مع عموم الناس ، شعر بأنه يعيش حياته الحقيقية، وأنه يمضى على دروب زمانه ، وأن ما أمامه هو مـستقبله ، شعر كأن دنيا طفـولته كانت دنيا صغـيرة . . لا . . لا . . لست مملوكـا لهذه الدنيـا ، وهكذا انقلب عقل عماد وانقلب تفكيره .

قرأ عـماد خطاب عـتيقـة ، فأصابتـه صدمـة ، مع أنه كان من الواجب أن يفرح . .

اشترى ناصر علبة سجائر من السـوق ، ورجع ليجد صديقه عماد ، متغيـر المزاج تماما ، بل بدا كأنه لا يدرك ما حوله ، فـقد جلس مثل تمثال قد من صخر . . فصاح فيه : إيـه . . ماذا بك ؟ !

نظر عماد إلى صديقـه ، كاتم أسراره ، نظرة من لا حول له ولا قوة ، فقفز ناصـر وخطف الخطاب من يده ، قرأه بسرعة ثم قال : يا فرج الله ! لقد تحقق ما كنت تصبو إليـه ، عليك أن تفرح ، لماذا هذا التجهم يا رجل ؟!

علت شفتى عماد بسمة خجولة ، فصاح ناصر :

- لكن يا صديقى . . إنها فتـاة رائعة حقا . . كيف وصلك هذا الخطاب؟ هل وصلك بالبريد ؟!

فهز عماد رأسه بالنفى قائلا :

- أحضره خفير الاستراحة .

- من أين ؟!

- من هناك . . فوق . . إنها تقيم فى الغرفة رقم سبعة عشرة.

- آه . . "صاح ناصر بسرور" إذن يمكننى أن أراها !

- أوه . . أنت دائما تعيش في ودايك الخاص " قال عماد هذه الجملة ثم تطلع إلى صديقه مستفسرا "أنا الآن أفكر فى الرد الذى سأكتبه . . ".

فقال ناصر :

- . . دوغرى . . على طول . . أخبرها أن تأتى بنفسها حتى نناقش الأمر.

فى ذلك اليوم بقى الاثنان يفكران معا فى كتابة الرد حتى انتهيا بعد فترة . . وبعد أن أخذ الخفير الرد ، جلسا معا بين رجاء وخوف ، وبينما هما كذلك دق جرس الباب . .

- ادخل . . نطق ناصر بالكلمة بينما كان قلبه يدق بعنف .

دخل الخفير وقال :

- الآنسة المحترمة سوف تشرف فى تمام الساعة الثامنة.

طلبا الشاى لتحيتها ، وأخذا ينتظران قدومها ، وفى تمام الساعة الثامنة دخلتا الغرفة . . اثنتان . . عتيقة وابنة عمها ، وقد لفت كل منهما نفسها بعباءة احتوتها تماما . . قال عماد :

- تفضلا . .

أرخت عتيقة عـباءتها ووضعتها على كتفـيها ، لم تكن جميلة ، كما أنها لم تتزين مثلما تفعـل أمها ، إلا أنها كانت كأنثى بلاء عظيما ! كانت ملامحـها حادة كحد السكين ، كما اتسـمت طريقتها بالعنف ، عنف أشـبه بوخـز قـارص كوخـز الإبر ، لم يظهـر على ملامـحهـا اضطراب من أى نوع ، كـمـا لم تظهـر أى شـعـور بالاعـتـزاز ولا بالتواضع . . نهض ناصر ، وقال :

- تفضلا أولا قدحا من الشاى ، وبعدها نتكلم ، ثم سألها . . سكر . . ملعقة أو نصف ملعقة ؟

ردت :

- ملعقة.

وضع ناصر أقداح الشاى أمامهما وهو يقول :

- من فضلك . . لماذا ترفضين عـماد ؟ هـل شكلـه لا يعجب أم . . ؟

فابتسمت عتيقة وقالت :

- لا ليس الأمر كذلك.

- إذن هل هناك شخص آخر فى . .

- لا . . لا ، ولا هذا أيضا ، فى الحقـيقة أنا لا أريد أن أتزوج مع أحد أبناء الذوات . .

- مع من تريدين الزواج إذن ؟ ابتسم ناصر وهو يسألها . . هناك بلا شك إنسان . . ؟

- لا أحد . . "قالت هذا بغيظ شديد" ، سوف أتزوج مع من يوافقنى فى مسلكى .

فسألها ناصر على الفور :

- مسلكك ؟

وجلس عماد صامتا يطيل النظر فى عتيقة وهى تقول :

- أريد أن أجعل حياتى كلها وقفا على التبليغ .

قال عماد :

- التبليغ . . إن والدك يقوم بهذه المهمة .

- لا . . "صاحت وهى تردد" لا . . لا . . هذا فى الماضى . . أبى ماضٍ أما المستقبل فهو أنا . . وسيطر عليها الحماس فأنزلت قدح الشاى من فوق شفتيها ، ووضعته جانبا ، وهزت رأسها ، فانفكت خصلات شعرها ، وبرزت ملامح وجهها أكثر فأكثر ، قالت فى غضب :

- أنا المستقبل . . نحن . . نعم نحن وما نريد ، نحن نعمل ما يجب أن يكون ، إن من يعتقد أن عصرنا عصر ضياع ، وعصر ضلال ، كيف يمكنه أن يرشدنا إلى الطريق ؟!

وتوقفت لحظة ثم قالت :

- يجب أن يكون مـؤمنا بضـرورة العـمـل من أجل الإسـلام ومبادئ الإسـلام لا أن ينشغل بالتسبـيح تارة واختلاق قضـايا ومسائل فرعية تارة أخرى . .

سكتت عتيقة فأطبق الصمت على الغرفة بأكملها . .

رفعت قـدح الشاي واحتـست ما بداخله فى رشفـتين ثم وجهت حديثها إلى عماد وهى تقول بصوت ضعيف :

- توافقنى عـلى طلبى ، أطلق سراحى ، سأكـون ممنونة لك، ولن أنسى هذا الجميل . .

فقال عماد بصوت هادئ :

- أوافق لكن بشرط . .

فانتفضت عتيقة وقالت وهى تلوح بالقدح فى يدها :

- أوافق على أى شرط تطلبه فى هذا الصدد . .

فقال عماد :

- هل تعدينى إذا خرجت للتبليغ أن تأخذينى معك أيضا ؟!

ففـزعت عتيقـة . . ونظرت فى حيرة إلى عـماد . . . طاخ !! وانفلت القـدح من يدها . . سقط على الأرض ، تحطم ، تحـول إلى قطع صغيـرة مدببة . . وساد الغرفة صـمت بينما جلس الأربعة كلهم وكأنهم خشب مسندة .

تمت

ساحة العرض

نجم الحسن رضوى

نـظـر فرأى آلاف الناس مجتمعـين ،وفى لمح البصر مـد البعير رقبته الطويلة إلى الأمام ، وحك قـدميه فى الأرض كمن يسن سكينا بضربة واحدة ثم انطلق مع صفوف الهجن كأسراب طيور صحراوية . .

فى ساحة العرض حيث كان يجرى سباق "الهجن" الموسمى راح الناس يصـفقون ، وفى الـناحية الأخـرى من السور الشـبكى راحت جماهير مـحتشدة تنشد بأصوات كأنهـا الموج ، على دقات الطبول ، وكانت النساء يتـمايلن طربا، ينثرن شعورهن كـرايات حريرية تخفق فوق رؤوسهن ، يشـددن من همم وعزائم راكبى الهـجن الصغار. . وتراجع ميـدان السباق تدريـجيا، واخـتفى المتفـرجون والمشجـعون فى سحب الغبـار ، وسقط الطائر فى بحيرة بيـضاء بعد أن قطع دورة فى الصحـراء وقد انطوى داخل ذرات الغـبار الذهبـية للصـباح الندى ، ونصب الغبار فـوقه خيمة. . وهناك ساد صـمت رهيب حيث ابيضت كل الأشياء . .

أدار وجهه وأغلق عينيه أو ربما فتحها؛ لأنه رأى الساحة كلها وقد امتلأت بالناس . . وبدأت صفوف الهجن تنطلق مسرعة : مليحة . . .

صاعقـة .. طوفان .. صرصر .. طغيـار .. رعـد .. سموم .. شمال ... أخذت تثير بأرجلها سحبا كثيفة من الغبار ..

- صاعقة ... صاعقة " ظلت جماهير المتفرجين تصرخ ..

- صاعقة ... يا لك من فارس مغوار يا من تركب صاعقة..

وفجأة تناهى إلى سمعه صوت يقول :

- تنتظرك أكبر جائزة فى السباق .. ! "

فمع نـهاية حفـل السباق كـانت الجوائز تـنهال كالمـطر .. فراح يضرب عنق البعير وينخزه مرددا :

- لا تقلق يا أستاذ أحمد .. سيكون ترتيبه الأول دائما ! "

وراح يلوح بالجريدة بينما كانت حركة البعير التى تدب الأرض بأرجلها كصخرة تدفعه إلى الأمام تكاد أن تسقطه و تسحقه ..

وتناهى إلى سمعه نفس الصوت مرة أخرى :

- انك لا تخاف منه ... كان هذا الأستاذ أحمد المشرف على مربط هجن مولانا وهو أيضا معلم الصبية والفتيان راكبى الهجن ..

فى البداية كـان يخاف من الاقتراب من البعـير .. هذا المخلوق العالى الضـخم كالجبل مقـابل الإنسان الصغيـر .. كان يوضع على ظهر البعير ويربط من وسطه ثم يظل يصرخ ويصيح طالبا العون وهو ملتصق بسنام البعير الذى يهرول :

- أبـى . . أبـى . . الحقنى يا أبى . . النجدة . . ! "

لكن أين أبوه من هذا المـكان ؟! فبـينه وبين أبيـه أراض وبحـار وفرق حتى فى التوقيت والزمان . .

وفى الليل حين يغط فى النوم تتـراءى له أحلام عجـيبـة مخيـفة وغريبة . . يرى أحـيانا أن البعير يجرى وراءه . . وأحـيانا يتراءى له كأن البـعير قد ركب على كـتفيـه . . وأنه يحمل البعيـر ويجرى فى ميـدان السبـاق . . فيصـرخ ويستيـقظ . . ويظل لفتـرة طويلة يبكى بصوت متهدج . . ثم يروح يغمغم ويتمتم :

- إنى خائف . . لا يمكننى أبدا أن أركب البعير . . لا . . لا . . "

فيضحك الأستاذ أحـمد، ويحاول أن يدخل الطمأنينة على قلب الصبى قائلا :

- لا تخف . . لا تخف . . !

وتصيب الصبى حيرة :

- لا . . .

فيقول الأستاذ :

- وبعدين معك . . . إنهـا بداخلنا . . بداخل كل إنسان . . اسمع . . بداخل الإنسان كل شيء بداخله أسـد وبداخله صقر أيضا وبعير أيضا !

فيسأله الصبى بتعجب شديد وحيرة :

- بعير أيضا ؟!

- نعم ألا تدرى كيف تعيش الرغبات داخل الإنسان ؟ وكيف تعيش الأمانى ، البعير أيضا رغبة . . رغبة عالية . . رغبة القوة . . والرغبة فى المال . . تأكد يعيش فى داخلنا جميعا بعير . . !

وبالتدريج . . تقلص هذا البعير حتى إن الصبى رأى ذات ليلة أنه يضعه فى منديل ويضع المنديل فى علبة طعامه . . وحين قص هذه الرؤيا على الأستاذ أحمد تهلل وجهه وابتسم قائلا :

- ابسط يا عم . . لقد أصبح البعير فى قبضتك وتحت سيطرتك . . كان بداخلك خوف وقد انتصرت عليه . . الآن سوف يكون لك اسمك . . عليك أن تقتنص الشهرة؛ فالكثيرون يركبون الهجن لكن قل من يسيطر عليها . .

لكن الصبى كان شجاعا رغم جسمه الصغير وقده النحيل . . وكان يدرك تماما كيف يتمكن من السيطرة على البعير الذى يركبه . . . كان صاعقة يفهم جيدا إشاراته ، كان يعرف متى يجثو على الأرض ومتى ينهض ، متى يزيد من سرعته ومتى ينطلق سريعا كريح الشمال يلقى بخيمة نده فى الهواء . .

كان الصبى بطل الأبطال بلا منازع . . كان الناس جميعا يعرفونه ويحبونه، وكذلك كان مولاه أيضا الذى يمتلك الكثير من الهجن

وعنده الكثيـر من الصبية والفـتيان من راكبى الهـجن . . كان مولاه مسرورا منه إلى أكـبر حد؛ فقد كـان الصبى يرفع اسم مولاه فى كل سباق يحقق فيه الفوز . .

فى هذه المرة أيضا كانت عيون الجميع مسلطة عليه . . وحين بدأ السباق كان صاعقة فى مقدمة الهجن . . وفى وسط السباق أيضا كان صاعقة يتقدم الجميع . . . وفجأة . . حدث زلزال ، وانشقت السماء وسقطت كسفا على الأرض . . . و . .

والصبى . . فتح عينيه . . تراءت له من بين رمـوش عينيه بحيرة بيضـاء . . راحت تتسع وتتسع من حوله . . كـانت غرفة المستـشفى . . الجدران البـيضاء . . الستـائر البيضـاء والأسرّة البيضـاء . . كان يرغب فى الحـركة ، يتـحـرق من شدة مـا يعـانى من ألم . . لكن الأربطة المثبـتة على جسـمه جعلتـه يرقد بلا حراك وبلا إحـساس ، وكانت الأربطة البيـضاء والأنابيب مختلفـة الألوان قد أحاطت به من رأسه إلى قدميـه ،وبدأ الصبى يئن من الألم والوجع ، وعندئذ صاح أحدهم قائلا :

لقد أفاق الصبى . . نادوا على أبيه . . !

- أبى . . .

أراد الصبى أن يقول شيئا لكن صوته لم يخرج .

وراح والد الصبى يذرف الدموع فى صمت . .

قال مولاه :

- للأسف . . لن يتمكن الصبى من الاستمرار فى الخدمة عندنا ، لكن لا تقلق بالنسبة لعلاجه فجميع الترتيبات . . . .

ومسح والد الصبى دموعه بأكمام قميصه وتنهد وهو يقول :

- مولاى . . بارك الله فى خدماتك وأفضالك . . نحن خدامك . . كان ابنى محظوظا بالعمل لديكم . . حسنا إن لم يعد بقادر على العمل . . فلا تقلق يا سيدى فعندى ولد آخر . . أصغر منه بقليل . . إذا أمرتم فـ. . . . ! " .

وفجأة بدأت موجات من الألم الحاد تقطع فى الجزء الأسفل من جسم الصبى . . كانت سيوفا حادة تخزه بكل شدة . . وراحت تأوهات حزينة تخرج من فمه . . فأسرع إليه الواقفون من حول سريره . . وتطلع إليهم الصبى وبدا له أن سباقا سيبدأ من جديد . . !

تمت

وخـز

أحمد نديم قاسمى

لـم يفهم أحـد كيف وفى هذا العمـر ظهر هذا الحب الإلهى فى قلب" شمـشاد على" ، ذلك الشاب الوجيـه الذى كانت أنظار الناس تتعلق به حيثما مضى . . . كانت شعـريات ذهبية متفرقة تلمع وتبرق في لحيتـه التى نبتت حديثا وفي شـاربه أيضا ، أما إنسان عـينيه فكان يبدو أحـيانا للناظرين بلون اللوز الداكن وأحيـانا يبدو بلون يميل إلى الزرقة ، كان الناس قـد اعتادوا على مشاهـدته حين كان يخرج من بيته ذاهبا إلى المسـجد وحين كان يعود إلى بيته قـادما من المسجد،ولم يحدث أن وقع نظرهم عليه فى أى مكان آخر علاوة على ذلك.

كان شمشـاد على يجلس فى المسجد لفترات طويلة، ويـستغرق فى تلاوة القـرآن الكريم ، وفى البيت كـان يجلس مفتـرشا سـجادة الصلاة يردد الأدعيـة والأذكار لساعات طويلة ، فسـاور الخوف أخوته الكبار ظنا منهم بأن يكون أخوهم الأصغر شـمشاد على قد "انجذب" وأخذه الوجد وسيظل هكذا "مـجذوبا" ، فزوجوه . . . وصار أبا ، إلا أن حـبه لأهله كـان من نوع عـجيب ، فكـان بعد أن يتم قـراءة الأدعية والأذكار - ينهض وينفخ في وجـه طفله القابع فى حضن أمه

حينا أو يقوم بتمـرير أنفاسه بامتداد جسم طفله النـائم فى مهده حينا آخر، وكأنه ينقل ثواب جميع الأدعية والأذكار التى قرأها إلى وليده ، ومن ثم يأخذ طريقه إلى المسجد. وكم من مـرة أجلسوه وأفهموه أن تلاوة الأدعـيـة والأذكـار لا بأس بهـا ، إلا أن الإنسـان الحى عليـه واجبات أخرى كثيرة ، فـهو رجل لزوجة كما أنه والد لابن ، وعليه بعض الواجبـات لابد أن يقوم بها ، ولكنه كـان يجلس وقد ازدانت شفتاه بابتـسامة لم تكتمل ، وحين يبدأ الجمـيع فى التفرق ، ينهض هو أيضا ويتجه نحو المسجد . . .

فى فصل الشتاء كان يعاند فيتوضأ بالماء البارد ، معتبرا هذا جزءا من العبـادة أيضا ، ومن ثم كان يضع جانبـا إبريق الماء الساخن الذى كانت زوجه تحمله إلـيه حتى ظهرت الشقوق فى كعـبيه وتسلخ جلد أصابع يديه وتحـول إلى قشور ، ورغم هذا ظلت الابتسـامة التى لم تكتمل بعـد تزين شفتـيه ، واستـمرت حيـاته على هذا المنوال .كان شمشـاد على ينتمى إلى أسرة اشتهـر أفرادها بين الناس بالانقطاع إلى عبـادة الله ، أسرة ورث أفـرادها المشيـخة أبا عن جـد ، إلا أن مزار شيوخ هذه الأسـرة كان بعيدا عن القرية فـى موضع يقال له "ونـدى شيـخـان" ، وكان الأخ الأكبر ويدعى أمـجد على هـو "الـخـلـيفـة " بين أفراد هذه الأسرة ، وكان كلمـا رجع من "وندى شيخان" إلى قريتـه يظل قلقا وهو يشاهد أخاه فـى حالة الطرب هذه منتشيـا بذكر الله ، ويظل يفكر ويفكر، وفى النهاية، وذات يوم ، وبعـد التشاور

مع أخوته رأى ضرورة أخذ شمشـاد على إلى " وندى شيخان " حيث "المزار" ؛ فإذا لم يتراجع بأى شكل من الأشكال عن هـذا الاستغراق المستمر فى تلاوة أدعيته وأذكاره وقراءة أوراده ، وجب إبقاءه فى المزار حيث خانقاة الآباء والأجداد فـمن الممكن أن يفيق قليلا مما هو فيه ، ويكون بشكل أو بآخر ذا فائدة لأخيه الأكبر أمجد على ، وحين أخبر شمشـاد على بأن أخاه الأكبر سيأخـذه إلى المزار قال : "حسنا . . . ليأخـذنى إلى هناك ، فالله هو الله فى كل مكان ، والقـرآن هو القرآن فى كل مكان، لا يفرق الأمر معى شيئا".

وفى "وندى شيخان " أجلس شـمشاد على فى جانب من المزار على مسند المشيخة ، وظل جالسا مـنشغلا بما هو فيه كعادته كل يوم ، وحين علم المريدون بأنه هو الشيخ الصـغير ، تدفقوا عليه جـماعات جماعـات ، نظرا لاعتقادهم فى ولايته ، وراحـوا يقبلون يديه حتى ابتلتا ، وراحـوا يتمسحون بركـبتيه حـتى اتسخ سرواله من أوله إلى آخره ، ومع هذا استمر شمشاد على فى تلاوة أوراده وأذكاره وترديد أدعيـته ، دون أن يعيـر هؤلاء المريدين المتمـسحين به أدنى اهتـمام ، وربما قال لـهم مرة أو مرتـين : "هاكم أخى ، إنه يجلس هناك" ، ولما لم يهتم المريدون بما يقول تراجع وانكمش على نفسه واستمر فيما هو عليـه ، وفى تلك الأثناء شـاهد أحد المريـدين يرفع طرف "المسند" الذى يجلس عليه ثم يـعيده ثانية إلى وضـعه الأول ، فظن شمـشاد على أن هـذه الحركـة مظهر من مظاهر التكريم والتبجيل ، لكن حين

جاء أخوه ليأخذه بعد حلول الظلام ، قام خادمه مبارك خان فرفع جميع أطراف المسند وجمع "رزما" من الأوراق المالية ، فى تلك اللحظة ابتسم شمشاد على - ولأول مرة - ابتسامة عريضة واضحة وقال :

"ظننت أن الناس يتلمسون البركة من المسند أيضا كما يتلمسونها من يدى وركبتى ، الآن فقط عرفت أنهم كانوا يقدمون لى النذور" .

فنبهه أخوه قائلا : "شمشاد ! هذه النذور لم تقدم لك ، هذا مال المزار ، هذا ملك" المقام الشريف "افهم، هذا المال وصل المزار عن طريقك وبواسطتك ، وسوف تنال عن ذلك ثوابا عظيما" .

فقال شمشاد على : حتى لو حصلت على هذا المال كله فماذا أفعل به ؟! إن ربى يرزقنى بما أحتاج . . . غدا سوف أقول للمريدين: " لا تتلمسوا البركة من مسندى ، وإذا كان عليكم أن تقدموا النذور فلتذهبوا بها إلى أخى . . . " .

فقال أخوه من فوره : "لا . . لا . . لا تفعل هذا أبدا . . أبدا . . فاهم . .إن النذور التى ترد عن طريقى شيء والنذور التى ترد عن طريقك شيء آخر . . لماذا تقول هذا فترتكب جريمة خفض إيراد المزار ؟! "

قال شمشاد على : "حسنا . .حسنا . . لكن إيراد المزار كله يؤول إليك أليس كذلك ؟"

فرد الأخ وقد ضاق ذرعا بكلام شمشاد " : افعل ما قلته لك ، ولا تدخل فى جدال حول هذه النذور والأموال حتى لا يخرب إيمانك " .

فقال شمشاد على متظاهرا بالخوف : "حاضر . . حاضر" .

وحين رجع المريدون إلى قراهم ،بعد زيارتهم للمزار ،ذكروا لذويهم وأهليهم أن الأخ الأصغر للشيخ الكبير قد شرف المزار بحضوره ، وأن على وجهه نورا عظيما فكأنه ملاك يجلس على مسند المشيخة ، وهكذا اصطف الناس طوابير طويلة أمام المزار ، أما أمجد على فكان بعد تقديم النذور يأتى من فوره إلى شمشاد على ، فينظر إليه ويبحلق ، وكأن بصره قد عشى ، كان المريدون لا يضعون الأوراق المالية فقط تحت أطراف المسند بل كان الحريصون منهم يعمدون من باب الاحتياط إلى حشو جيوب قميص شمشاد على بالأوراق المالية . . . وفى المساء يتولى مبارك خان أمام أمجد على جمع النذور من تحت المسند وإفراغ جيب شمشاد من كل ما به ، ثم يتوجه الاثنان معا إلى حجرة جانبية حيث ينهمكان فى عد وإحصاء النقود ، ويغرقان فى الضحك ، فببركة شمشاد على تضاعف إيراد المزار ، وتزايدت كمية النذور المقدمة للمقام الشريف .

بعد موسم حصاد القمح مباشرة ، ينعقد "المولد" السنوى للمزار ، فيتجه المريدون من طول المنطقة وعرضها إلى المزار محملين بأموال النذور ، فيشحن كل من أمجد على وشمشاد على بالأوراق

المالية وكـأنهما خـزانتان مكتظتـان ، وبمناسبة "المولـد" وبسبب تدفق المريدين وتزاحمهم تمزق جيب شمشاد على من كثرة ما وضع فيه من نقود، نظرا لأنه لم يكن فـيه متسع للمزيد من أمـوال النذور ، فقام أحـد المريدين وأراد أن يضع النذور فى يد شـمشـاد على ، فسـحب شمـشاد على يده وانتفض كأن صـاعقة أصـابته ، ثم نظر إلى المريد باستياء جـعله يرتعد من الخوف ، فنهض شمشـاد على ومسح بيديه على رأسه ثم وضع يده عل صدره قائلا :

"اعـذرنى يا أخى فـقـد ظننت أنك تعطـينى هذا المال ، وأنا لا حاجـة لى به ، إن الله يعطينى ما أحتـاج ، هذا المال هو مال المزار ، هو ملك هذا المقام الشـريف ، لهذا لا تضعه فى يدى ، ولا تـضعه فى يد أى إنسان آخر؛ لأن صاحب اليـد الذى تأخذ هذا المال يصبح نجسا .

وهـــكذا أثبتت هذه الواقعة صدق "ولاية" شـمشاد على وعظمته ، فراح الناس يتزاحمون عليه حـتى إن القلق ساور أمجد على أحيانا ، فقـد يلعب الزهر(النرد) لعبتـه ، وينكشف الملعوب ، ويخـسر كل شيء ، ولكنه كان يلتـزم الصمت ولا ينطق بكلمة حين يرى مـبارك خان وقد جمع "رزم" الأوراق المالية من تحت المسند الذى يجلس عليه شمشـاد على ومن جيبه الواسع الذى خيط بـالقميص بدلا من ذلك الجيب الذى تمزق قبلا .

وذات ليلة حين غادر مبارك خـان المزار بعد أن جمع النذور،رأى شمشاد ورقة بمائة روبيـة وقد برز طرفها من تحت المسند الذى يجلس

عليه ، فتناول المنديل الموضوع على كتفه ولفه على يده ورفع بيده ورقة المائة روبية واتجه إلى حيث يجلس أخوه ففتح الباب فوجد أمام أخيه أمجد على أكواما مكدسة من الأوراق المالية فئة المائة روبية وفئة الخمسين روبية وفئة العشر روبيات والخمس روبيات والروبية الواحدة ، ومبارك خان يقوم بترتيبها وعدها ، واستاء أمجد على من دخول شمشاد على المفاجئ فقال :

"شمشاد . . حجرتك هناك فى الناحية الأخرى ، ماذا جاء بك هنا ؟! "

أما مبارك خان فظل جالسا حيث كان،لم يغير من وجهته ، فقال شمشاد على :

"مبارك خان نسى هذه الورقة ، هناك تحت المسند ، ففكرت أن آتى لأعطيكما إياها" .

فهدأت ثائرة أمجد على وقال : "ضعها هنا" .

فأسكن شمشاد على المائة روبية يد مبارك خان وجلس بجوار أكوام الأوراق المالية وأخذ يمعن النظر فيها ، ثم قال : " هذا المبلغ كله ملك للمزار ! أليس كذلك يا أخى العزيز ؟ "

"نعم . . نعم" أجاب أمجد على .

كان هذا بمثابة هجوم آخر مفاجئ على أمجد على ، وراح شمشاد على يتساءل كطفل يستفسر عن شيء لا يعرفه :

"لكن في أى شيء تنفقون هذه الأموال يا أخى ؟"

فقال أمجد على : "هذا المطبخ الذى يعمل ليل نهار ، وما نقدمه من أجل تكريم الضيوف الأعزاء القادمين من أماكن بعيدة ، وتلك الرواتب التى قررناها للمساكين واليتامى والأرامل ، والمولد الذى يعقد كل سنة، وننفق عليه تقريبا مائة ألف روبية و . . . . " .

فقاطعة شمشاد على وهو ينهض من مكانه : "أخى أنا لا أعرف الحساب، لكن أقول بالتقريب إن ما يجمع فقط فى وقت المولد من نذور هو بالتأكيد يعنى أكثر من مائتين وخمسين ألف روبية" .

فقال له أمجد على وهو يحملق فى وجهه " :ألم أقل لك ألا تتدخل فى مثل هذا الجدال حول النذور والأموال لئلا يخرب إيمانك ؟!"

فانسل شمشاد على من الغرفة كطفل علت وجهه مسحة من ندم بعد أن انكشف ما وقع فيه من خطأ .

فى فصل الشتاء وذات يوم دهش أمجد على وتحير حين رأى بعض المريدين يتهامسون فيما بينهم أمام المسند الذى خلا لأول مرة من الشيخ ، وراح أحدهم يتساءل :

" بدو أن شيخنا الفاضل بعافية" .

فرد عليه آخر :

"لقد نهض الآن وذهب إلى حجرته ، لكنه كان يتعثر وكأن الأرض تميد به ، وراح يتلوى منحنيا على ركبتيه . . " .

وصل أمجد على إلى حجرة أخيه فوجده يتلوى من شدة الألم ، ويكح ويلهث بشدة وقد تقطعت أنفاسه ، فراح أمجد على يتأمل حالة أخيه وعرف أنه قد ابتلى بداء "ذات الجنب" ، فأخذ بعض الأدوية من أحد الحكماء وقرر فى الوقت نفسه أن يعيد شمشاد على فورا إلى قريته مسقط رأسه ، إنه الالتهاب الرئوى الذى يحمل رسالة الموت ، لهذا أراد أن يبقى شمشاد على فى لحظاته الأخيرة مع زوجه وابنه ، حتى لا يتهم بأنه كان سببا فى موت أخيه غريبا عن أهله .

وحمل شمشاد على ووضعه على السرير المفتول من حبال قائمة على أربعة أرجل خشبية داخل بيته ، وأرقدوه على جنبه الأيمن ، فانتفض من فوره قائما وقال : "وخز . . وخز شديد يؤلمنى . . وخز آه وخز" .

قال أمجد على :

"فى الالتهاب الرئوى يحدث وخز بل ألم فظيع . . يرحمنا الله " .

وفى صباح اليوم التالى حين قدم أمجد على ليسأل عن حال أخيه قال له شمشاد على إنه حين أراد أن يرقد على جنبه الأيمن شعر فى داخل تجويف الحوض فى جسمه كأن وخز سكين حاد يمزق داخله . وجاء الحكيم ففحص بدقة الجنب الأيمن من جسم شمشاد فلم يجد

أى بثور أو دمــامل أو تورمات ،ولم يجد حتى أى عــلامة تدل على ذلك ، فطلب الحكيم من شــمــشاد على أن يرقــد أمــامه على جنبــه الأيمن فمال شمشاد على جنبه الأيمن إلا أنه صرخ قائلا :

"ليس هناك أى تغيير فى حدة الألم الشديد الناتج عن هذا الوخز الذى يمزق داخلي" .

نظر الحكيم ناحــية أمــجــد على وكأنه يقــول له إن المرض الذى أصيب به شمشاد على قد عُرف ســببه ، ثم انتحى به جانبا وهمس فى أذنه قائلا :

"لا يمكننى سوى القول بأن هذا هو وخز الموت" .

قال أمجد على :

"لكن . . . حضــرة الحكيم لماذا لا يشــعر بهذا الوخــز وهو على جنبه الأيسر ؟!"

وفجأة تحول الحكيم إلى صوفى فقال : "إن الميت يوضع فى القبر على جنبه الأيمن حتى تكون رأسه فى اتجاه القبلة . . والشيخ الصغير يشعــر بالوخز حين يكون علــى جنبه الأيمن لأنه غيــر مســتعــد ذهنيا للموت . . . وإلا فما عساه يكون السبب !؟

وفى اليوم التالى حين رأى واحد من كبار العائلة المعمرين أن آخر لحظات شمشاد على قد قربت ،وأن روحه سوف تنتقل إلى بارئها بين

لحظة وأخرى ، قـرر أن يبدأ الحضـور فى ترتيل سورة "يس" ، وأن يديروا شمشاد على إلى ناحـية القبلة على جنبه الأيمن، وحين أداروا جسم شـمشاد على على جنبـه الأيمن إذا به ينهض مضطربا منزعـجا ويقول :

"وخز . . . وخز . . . وخز" .

فـوضع فقـيه القـرية يده تحت الجانب الأيمن من جـسمـه وراح يحركها هنا وهناك وفجأة أشـار عليهم بأن يجعلوه يستلقى على ظهره ، ثم راح يخرج من جيب شمشاد عـلى أعدادا كبيرة من الأوراق المالية التى أصبحت طياتهـا من كثرة تحركه يمينا وشمالا مدورة كـالحصيات ذات الأطراف المدببة . . . وحينئذ فتح شمشاد على فمه وقال بصوت خافت :

"آه لقد كانت هذه الروبيات . . . نذور المزار . . . تخزنى" .

تمـت

الوصية

ستار طاهر

قال الشيخ شـاه نقشبندى : الدنيا فى الأصـل برزخ ، فالإنسان يبدأ الممـات من اليوم الذى يولـد فيـها ، وتبدأ أنفاسـه تتردد بداخله لأول مرة ، وينتـهى موته مع آخر نفس له فى عـالم البرزخ هذا . . ويقول الشيخ : حين يبلغ الإنسـان سن الأربعين فإنه يكون بذلك قد طوى فى هذه الدنيا أربعين سنة من مرحلة الموت فى عالم البرزخ . . . وأنا يا سيدى لا أدرى كم مرة مت ؟ وما الفترة الباقية على استكمال موتى ؟

والحقيقـة أننى فى الأصل لا أدرى كم سنة مرّت على ؟ وما هو عـمرى الأصلى ؟ . . . كم عـمرى المسـجل فى الأوراق ؟ . . ومنذ متى وأنا فى عالم البـرزخ ؟ . . منذ كم سنة . . ؟ لقد ابتليت بمرض لا يمكن وصفه وليس له اسم . . بالتأكيد لا بد أن يكون لى نجم . . نجم سـعـد أو نجم نحس . . نجم والسـلام . . لـكنى لا أدرى لأنى أعـرف أن تاريخ ميـلادى المدرج فى الأوراق الرسـميـة ليس تاريخـا حقيقيا !

لقـد أصبت بمـا أنـا فـيـه حين كنت أجـرى مقـابلـة مـع لاعـب "الكريكيت" العالمى المشهور ، وكـان اللاعب كلما ركز على بيان أن

أسباب نجاحه المتواصل هى كفاحه الدائم وتدريباته الشاقة ، كلما أوضح أنه منذ اليوم الأول الذى جاء فيه على وجه الدنيا وهو محظوظ ، فيوم مولده كان يوم سعده . . . وقال : إنه شخصيا يعرف العديد من الناس ولدوا فى نفس اليوم الذى ولد فيه وكلهم بلا استثناء أثبتوا أنهم أناس مشهورون وناجحون . . وأضاف أيضا قائلا بأن الناس الذين ولدوا فى ذلك اليوم يتمتعون بالصحة وطول العمر . . .

كنت محظوظا جدا بهذه المقابلة ، وحين انتهت أشعلت سيجارة وأخذت نفسا عميقا طويلا ورحت أفكر وأنا أتطلع إلى سحب الدخان المنبعث من فمى وأنفى على حد سواء : ما تاريخ ميلادى ؟!

هذا التفكير وهذا السؤال وضعانى فى سلسلة طويلة ومؤذية لا نهاية لها ، ومنذ ذلك الوقت وحتى يومنا هذا لم أتخلص من هذا الأذى . .

تاريخ ميلادى مشكوك فيه . . جعلتنى هذه الحقيقة مريضا .

أنا أعرف أننى ولدت فى إحدى مدن الهند قبل قيام باكستان ، وأعرف أنه فى ذلك الزمان كان إذا حدثت ولادة فى بيت ما قامت القابلة أو أحد من أهل بيت المولود بالذهاب إلى مكتب التسجيل ، فيسجل اسم المولود ويعود ويحصل بذلك على شهادة ميلاد الطفل من هذا المكتب ، وأعرف أن مثل هذا يحدث أيضا فى باكستان . . .

في ذلك الزمان وفي القرية التي كنت أنتمي إليها لم يكن الاحتفال بأعياد ميلاد الأطفال رسما أو عرفا راج بين الناس ، إذ لم يحتفل أحد أبدا بعيد ميلادي . . .

وذات يوم أُلبست ملابس جديدة نظيفة منسقة ومرتبة على جسمي ، وأخذني أبي وذهب بي إلى المدرسة ، وفي المدرسة ملأ استمارة لم أكن أستطيع قراءتها ، فلم يعلمني أحد في بيتي القراءة أو الكتابة ، وكانت أمي من جملة الأميات في قريتي لا تعرف الكتابة ولا القراءة . . وأُلحقت بالمدرسة، وهناك أيضا تم إدراج تاريخ ميلادي .

كنت في الصف الثاني بالمدرسة الابتدائية حين تأسست باكستان . . . ثم ذهبنا إلى باكستان . . في باكستان لم ألتحق بأي مدرسة، ذلك لأن أبي انتقل إلى الرفيق الأعلى . . وكان لأحد أقارب أمي أخ فذهبنا لنقيم عنده . . وذات يوم وبناء على إصرار أمي ألحقت بالمدرسة . .

في المدرسة وحين كانوا يكتبون الاستمارات نظروا إليّ وسألوني :

هل تتذكر تاريخ ميلادك ؟

وحين عجزت عن الرد راحوا ينظرون إلي يتفحصونني وأخذوا يقولون كلاما غير مفهوم ثم كتبوا تاريخا ما في خانة ميلادي . . وكان هذا هو التاريخ الذي استمر يكتب في شهادتي بعد التخرج من المدرسة الإعدادية والثانوية وحتى في بطاقتي الشخصية ٣ أغسطس ١٩٤٦م .

وتخرجت من الجـامعـة مع تاريخ ميلادى الافـتراضى القـياسى الزائف وأصبحت مـوظفا فى مكتب حكومى ،ورقيت لأصـبح رئيسا للموظفين . .رئيسـا من الرؤساء المهمين . . لكن . . لا . . لا بد أن هناك وثيقة مكتوب فيها تاريخ ميلادى الذى لا يطابق تاريخ ميلادى الافتـراضى القـياسى المزيف . . . كنت أدرس فى الصف الثـانى حين انتـقل والدى إلى جوار ربـه ثم بقيت مع أقـاربى أقـضى حياتى فى خضـوع وخنوع وأدرس أيضا . . وحين وجدت وظيـفة تزوجت عن طريق أحـد الأصدقاء . . . قـالت لى أم هذا الصديـق تخبرنـى عمن ستصير زوجتى :

- عمرها عشرون . . اثنان وعشرون . . . .

وكنت أفكر أننى فى الثلاثين ، هذا بينما أخبرت أم صديقى أهل العروس بأننى فى السادسة والعـشرين ، وحين تم الزواج ، كتبوا فى قسـيمـة الزواج أن عمـرى ست وعشـرون سنة، وأن عمـر العروس عشرون عاما .

بالنسـبة لتاريخ مـيلادى الافـتراضى كان عـمرى ثلاثون عـاما، وكانت عروسى لا تقل عن أربعة وعشرين . . . وبقينا معا نعيش هذه الأكذوبة بطريقة بارعة . . فلم يحدث بيننا سوء تفاهم على الإطلاق نتيجـة لهذا الأمر، بل لم يحدث أى ذكر له بينـنا ، فنحن كما كنا ، وكما كانت أعمارنا ، كنا نعيش مع بعضنا . .

أما صديقى الذى عرفنى على الشيخ شاه نقشبندى فكان صديق عمل ، إذ كنا نعمل معا فى مكتب واحد، وكان صديقى منير خان من عشاق الشيخ ومن محاسيبه أيضا، ولهذا طالما يُكثر الحديث عنه .. وحين جاء الشيخ إلى بلدتنا لعدة أيام حصل لى أيضا شرف مقابلته ..!

لكن عقلى وتفكيرى كانا قد أصيبا قبلاً بلوثة ، فقد أجبرتنى المقابلة التى أجريتها مع لاعب "الكريكيت" المشهور سابق الذكر على التفكير فى عمرى الأصلى ... كم عمرى ؟! وحين قرر الشيخ شاه نقشبندى فى إرشاداته أن هذه الدنيا هى عالم البرزخ، وأن عمر حياة الإنسان هو فى الأصل عمر الموت .. نبهتنى فلسفته هذه وأدهشتنى بل أفزعتنى ..

كنت أعلم كم بقى على مدة إنهاء خدمتى الوظيفية ؟ وكم يوما بقى على تقاعدى ؟ لكنى لم أكن أعرف ما هو عمرى الحقيقى ، وطبقا لأقوال الشيخ شاه نقشبندى كم المدة التى قضيتها من مرحلة الموت فى عالم البرزخ هذا ...

ورحت أفكر لو أن أخوالى زادوا فى عمرى حين ألحقونى بالمدرسة فى باكستان؛ فهذا يعنى أن مدة خدمتى الوظيفية أصبحت قصيرة .. لكن كم سنة ؟ سنة .. سنتان .. ورحت أطمئن نفسى .. ربما كتبوا تاريخ ميلادى أو جعلوا عمرى أقل بنصف عام .. لكن ظل لدى تساؤل لم أجد له إجابة شافية .. بل لم أجد له إجابة فى أى مكان ...

ـ ما عمرى الأصلى ؟! ما تاريخ ميلادى ؟!

لم أكن أبدا أهتم بهـذا الأمر من قـبل ؟ مع أنه ومنذ سنوات فى كل جريدة وفى كل مجلة كنت ألاحظ صفحة (برجك هذا الأسبوع) و(حظك هذا الشهر)، ولكن حين بدأت أخـوض فى دوامة البحث عن عـمرى الأصلى وعن تـاريخ ميـلادى الحقـيـقى أصبـحت هذه الصفحات بالنسبة لى كأنها إعلان عن عجزى . . إعلان بأننى معاق . . لم أكن أعرف ما هو برجى وما هو نجمى ؟! فقد كنت على يقين من أن تاريخ مـيلادى خطأ، ولهـذا لم أكن أتمكن من معـرفة "قـسمـتى ونصيبي" . . . !

وراح هذا السؤال يدخل عـقلى ويركبنى كعفـريت شرس . . فى البيت ، وفى المكتب . . فأصبحت سريع الغضب ، سريع التهيج ، وذات يوم قالت ابنتـى التى تدرس علم النفس فى الليسـانس ، قالت لأمها :

– يبدو أن أبى مصاب بمشاكل نفسية !

قالت هذا وهى تهمس فى أذن أمها . . ولكننى سـمعت ما قالته ، فبدأت أصيح وأصرخ ، وأخذت أتفوه بما يرد على لسانى من كلمات لا معنى لها . . كنت باختصار أهذى . . . وفى الليل سألتنى زوجتى بعطف شديد :

– ماذا أصابك هكذا فجأة ؟!

فأجبتها :

لا أعرف تاريخ ميلادى !

وشاهدت الحيرة تبـدو واضحة على وجهها فـأغلقت عينى ، أما هى فبعد سماعها هذه الإجابة المحيرة لم تعد توجه لى أى سؤال .

أما ابنى أرشـد الذى يقيم مع زوجـته وحده فـقد زارنا ذات يوم وراح يحدثـنى فى موضوعـات مخـتلفة ، وحـدثنى ضمن مـا كان يحدثنى به فقال :

- مـاذا يقلقـك هذا الأيام يا والدى ؟ أخـبـرنى فـربمـا أمكننى مساعدتك ففهمت أن أمه وأخته أخبرتاه عن حالى .. فأجبته :

"لا شيء" أجبته دون مبالاة .. "إننى قلق فـيما يتعلق بتاريخ ميلادى" .

فنظر إلىّ فى حيرة وتعـجب ، فأخبرته باختـصار عن الأمر كله وقلت له:

اسمع إن تاريخ مـيلادى المكتوب فـى جميع الوثائق والشـهادات غير صحيح ..

وظل يصغى إليّ باهتمام ثم قال :

- أبى .. فهمت .. بعـد قيام باكستـان .. عدد لا يحصى من الناس جاءوا هنا وحالتهم كانت مـثل حالتك .. كم من الناس كتبوا تواريخ ميلادهم بناء على قياسهم فلماذا كل هذا القلق الذى أصابك .. لك أن تتصور تاريخ ميلادك المكتوب تاريخا صحيحا ..

وسكت ثم اضطرب لسكوتى وقال :

- أبى .. لماذا تجعل "من الحبة قبة" بدون داع ؟

- أرشد !

أنت لا تستطيع أن تفهم هذا الأمر .

ورجع أرشد إلى بيته قلقا مضطربا .. يائسا ..

أخـذت أتدبر كل حـيلة لأتماسك وأطمـئن نفـسى .. الناس الذين يعرفون حقيـقة تاريخ ميلادهـم .. هل يؤثر هذا التاريخ على حياتهـم ؟ لا بد أن الأساس والأصل هو جد الإنسان واجتهاده وعمله المتقن .. لكنى أجد نفسى أفكر فى اتجاه آخر معكوس ... هل هذا أمر عادي؟هل هذا أمر بسيط ؟ ألا يعرف الإنسان فى أى يوم ولد ؟! أليس عن طريق معرفة تاريخ الميلاد يعرف الإنسان نجمه ويعرف الكثير عن قسمته ونصيبه ؟! ثم أقـوال الشيخ شاه نقشبندى بأن عالم البرزخ فى هذه الدنيا هو سنوات موت الإنسان ... وكأن هناك دودة راحت تخترق دماغى وأنا فى كل لحظة أغرق نفسى فى تعـقيدات وتعقيدات حتى أصابنى المرض .. كان مـرضى من النوع العجيب والغريب فى نفس الوقت ..

حالة من الصـمت الطويل .. ثم ظهور حـالة من الهيـجان .. أخذت إجـازة من العمل .. ورقـدت فى البيت لا عـمل لى سوى التدخين .. وهناك فكرة واحدة لا يوجد سواها تدور داخل رأسى .. وذات يوم رحت أضـحك رغما عنـى وأقهقـه .. وفكرت .. حين

ألفظ أنفاسى الأخيـرة فى عالم البرزخ هذا سوف يقـول الجميـع إننى مت وأنا فى الثامنة والسـتين وسوف يكذبون جميـعا . . وهجت وأنا أتصور الجميع يكذب ثم انتابتنى نوبة ضحك رغما عنى . . .

تجمع من فـى البيت . . راحوا يحـملقون فى وجـهى . . وعلى وجوههم دهشـة وحيرة واضطراب . . كانت الدمـوع ظاهرة بوضوح فى عينى زوجـتى رغم محاولتـها إخفـاء دموعهـا ، وفجأة حـبست قـهقـهـاتى فى حلقى وأغلقت عـينيى . . صـمت طويل . . بعـدها صدرت أصوات الهمس ثم عم السكون . .

وفى يوم وجدت نفسى حزينا تعـسا . . رحت أقول لنفسى : أنا إنسان لا يعرف متى ولد ، وبالتالى لا يعرف عـمره الحقيقى . . لقد قضيت حياتى كلها حتى الآن مستعينا بتاريخ ميلاد افتراضى زائف . .

وفكرت : حين أمـوت سـوف يدفننى هؤلاء الناس . . سـوف يضع ابنى لوحا على قبرى . . سـينقش عليه آيات من القرآن الكريم ثم تاريخ ميلادى وتاريخ وفـاتى . . تاريخ وفاتى صحيح بالتـأكيد ، لكن تاريخ ميلادى خطأ . .

فى تلك الليلة طلبت رؤية ابنى وقلت له :

"انظر ! هذه وصيـتى : حين أموت لا تكتبوا على لوح قـبرى تاريخ ميـلادى . . لا تكتبـوه . . هل تعدنى بذلك . . أقـسم بالله على ذلك . .فهذه وصيتى . . ".

الابـن والابـنـة والـلـه

شمس نعمان

كـان مـدير البنك يود من كل قلبه أن يأخذ من الحـارس بندقيته فيطلق عليه جميع الطلقـات التى وضعها فى حزامه الذى تمنطق به ، وكان هذا على الأقل هو العقاب الذى ود لو وقعه على الحارس جزاء له .. فـفى الوقت المحدد تمامـا لانتهـاء الدوام، وبدلا من أن يغلق البوابة الرئيسية للبنك ، أخـرج علبة الدخان واتجه حيث أريكة " كُل خان " .. بينما دخل ثلاثة مـن العملاء إلى مكتبه وأخـذوا يتناقشون نقاشا حـادا ويتعاركون بالكلمات .. فـفقد صوابه ، وكان قـد فقده أصلاً منذ الصبـاح ... ففى الصباح مضت الأمور كـالعادة على ما يرام وطبـقا لما يريد ، وفـجأة تذكـر سـاعة يده التى لم يجـدها فى معـصمه ، لقـد وضعهـا فى مكان ما ونسى ، وهناك كـانت زوجه صافيناز قد أعدت له طعـام الإفطار ووضعته على الطاولة ، أعدت له - طبقـا لرغبـته - البـيض المقلى والبليلة بالحليب .. وقـبل ذلك بقليل وحين كان يعد العدة للذهاب إلى البنك كانت صافيناز تثبت له أزرار معطفه ، وكـانت قد اعتادت على القيام بذلك كل صـباح ، أما هو فقـد اعتاد بدوره أن يمزح معـها ويقبض بشـدة على أناملها الدقيـقة الناعمة قائلا :

"صافيناز ! إننى جد سعيد داخل قيدك فلا تحررينى منه ، لو حدث هذا فاجعلينى أسيرا فى قلاع عينيك . . . " .

وتجيبه صافيناز بدلال ، فيضمها إلى صدره فى حب وحنان . . كانت صافيناز تعرف أن ما يقوله يخرج فعلا من أعماق قلبه ، فلم يمض على زواجهما إلا أشهر معدودات ، ومع هذا فقد كانت تفكر وتحدث نفسها " . . تلك الحياة التى عشتها بدون جاويد . . آه ! كم كانت خاوية لا طعم لها . . كانت مثل بيت فى خرابة ليس فيه مصباح . . " .

بعد أن انتهت صافيناز من تثبيت أزرار المعطف تذكر جاويد ساعة يده التى لم يجدها فى معصمه . . ثم ماذا حدث ؟ قامت القيامة . . فقد قرب وقت الذهاب إلى البنك والساعة لم توجد بعد ، والبيض المقلى على المائدة برد، فاستشاط غضبا وراح وهو على هذا الحال من الهيجان يحرك عينيه هنا وهناك ، ووقفت صافيناز المسكينة وقد أصابها الرعب ، فقد كانت غارقة فى سحر المحبة ، تطير فرحا فوق النجوم، وفجأة وجدت نفسها وكأنها ارتطمت بالأرض . . وأين يا ترى وُجدت الساعة ؟! لقد أُخرجت من جيب معطفه !!

"ألم تستطيعى أن تبحثى عن هذه الساعة اللعينة فى جيب معطفى ؟"

فى البداية امتلأت عيناها بالدموع ، لكنها لم تدر لماذا انفجرت ضاحكة، واستمرت فى الضحك ، أما جاويد فقد شعر وكأنها تتهمه

بالحمق ، فصب جام غضبه عليـها، ولكنه حين نظر إليها شعر وكأن ربيع الأزهار قـد حل على بسـتانهـا . . . وكـان الوقت يمر بسرعـة والبـيض المقلى ، هذا البـيض الذى برد بث فى ربـيعـه الذى أضـاء كالصـباح سُـمًا فلم يدر ماذا حـدث له . . حمل طبق البـيض المقلى وألقاه بشدة على الأرض :

- "ألم تتعلمى كيف تعدين الفطور بطريقة طيبة ؟"

- "عليك أن تأتى بمن تعد لك الفطور بطريقة طيبة !"

كان جهاز عـرس صافيناز يتكون ـ ضمن محـتوياته ـ من أطباق غالية جدا بالإضافـة إلى السجاد العجمى النادر لهذا شدها الذهول ، واحتـواها الغضب فكان جـوابها سـريعا؛ إذ شعـرت أن الطبق الذى تحطم لم يتحطم على السجاد بل تحطم على جسدها . .

"نعم سوف آتى . ."

قال هذا واتجه من فوره دون تناول طعام الإفطار إلى البنك، وقد استمر فى البنك طول اليوم لكنه كـان ينظر إلى عقارب الساعة المعلقة على الحـائط أمامه فـى مكتبه . . كـان ينظر ويتـرقب : متى تشـير العقـارب إلى الساعة الواحـدة ؟ ومتى يصل إلى البيت . . ليـصالح صافيناز ، لقد خامره إحساس بأن صافيناز ظلت قلقة مضطربة طوال اليوم بل ظلت تبكى ، وكان هذا الإحساس يؤذيه فلا يشعر بالراحة . . . كان يمكنه أن يعود إلى بيته مـبكرا ، لكن اليوم أول الشهر ، ووجوده

فى البنك ضرورى جدا ، فوجود المدير لازم من أجل التعامل مع أصحاب الاعتمادات والحسابات ، كما أن التعامل فى صرف النقود يكون أول الشهر أكثر من الأيام العادية . . لكن هذه المسرحية المضحكة العجيبة حدثت فجأة ، فحين كانت عقارب الساعة تشير إلى الثانية عشرة والدقيقة السابعة والخمسين ، وحين بدأ جاويد يلملم أوراقه ويعطى أوامره للصرافين بترتيب الأوراق المالية تمهيداً للتوقف عن العمل بعد ثلاث دقائق إذا بهؤلاء الثلاثة يدخلون عليه فجأة ، وكأنهم صاعقة حطت عليه من السماء . . فكاد دماغ جاويد أن ينفجر ، وتمنى من كل قلبه أن يفرغ فى الحارس جميع رصاص البندقية التى يحملها ، فلو كان هذا الحارس الجلف موجودا فى موقع خدمته لما تمكن هؤلاء من دخول مكتبه فى هذا الوقت . . ولكن ماذا يمكنه أن يعمل الآن سوى إعداد نفسه لتمثيل دور موظف البنك النموذجى ، فيستمع إلى حديثهم ويصغى إليهم بكل أدب واحترام .

كان من بين هؤلاء امرأة سمينة جدا شعرها مجعد بطريقة تدل على أنها زادت من استخدام أسطوانات لى الشعر فى صالون تجميل ، كانت هذه المرأة قصيرة القامة لكن صوتها كان عاليا ، وكانت نبراته حادة ومخيفة ، كانت تتكلم وهى تدير عينيها الصغيرتين هنا وهناك بطريقة كلها مكر ورياء ، وكانت رقبتها قد التصقت بكتفيها وكأنها دكت فيهما دكا ، وحول هذه الرقبة وضعت سلسلة من الذهب مع عقد من اللؤلؤ ، كان كفاها غليظين، وفى أصابعها المكتنزة غاصت

خواتم الذهب المطعمة بالأحجار الكريمة ، وفى كل معصم وضعت ست "أساور" من الذهب .

كان يرافقها رجل ضخم الجثة . . أخوها على ما يبدو لأن هناك شبهًا كبيرًا فى ملامحهما ، لكن لون بشرة الأخ أفتح قليلا من لون بشرة أخته كما كان أطول منها قليلا ، إلا أنه أيضا كان سمينا جدا ، وكانت الأخت وهى تتشاجر معه تناديه أحيانا تاج الدين ، وأحيانا تقول له تاج ، وأحيانا تاجو . .

كان تاج أو تاج الدين أو تاجو قد استشاط غضبا ، واحتدم النقاش والشجار بين الأخت وأخيها، بل أدخلا أيضا بينهم مدير البنك فى سفسطتهم ونقاشهم العقيم ، وحين تدخل توقف النقاش للحظات ، ثم عاد الأخ وأخته مرة ثانية للنقاش وارتفع ضغط كل منهما ، وبرزت العروق من تحت جلودهما ،وظهرت فى صوتيهما حشرجة تحولت إلى مواء كمواء القطط الجائعة . . . كانت معهما سيدة عجوز تبلغ السبعين أو أكثر ، نحيفة القوام ، تبدو ذابلة ضعيفة داخل ملابسها البيضاء وعباءتها التى لفت بها رأسها ونصف جسمها العلوى . .

كانت سيدة هادئة صامتة ، فى يدها مسبحة وشفتاها تتحركان فى حركات منتظمة مع تساقط حبات المسبحة الواحدة تلو الأخرى بين أصابعها . . كانت هذه السيدة هى أم تاج وإقبال بيغم . جلست فى صمت شديد على الكرسى تنظر إلى ابنها وابنتها . . وكانا حين

يصلان فى جدالهمـا وعراكهما إلى أقصى حد ،كـانت تتدخل قائلة بصوت خافت :

- "يا ابنتى كل شيء زائل ، لماذا تتصـرفون هكذا . . كل شيء ملك تاج . . لماذا تتعاركان . .؟"

- "لماذا أترك هذا يا أمي؟ إننى صامت من أجلك فقط !!"

"وإلا . . فمـاذا يمكن أن تفعلى أكثـر من هذا . . ؟ هل الظلم الذى وقع قليل . . لماذا هذا معى ؟ المبلغ الذى ظل يوضع فى البنك منذ زمان . . أخبرنا يا سعادة المدير كم وصل الحساب حتى الآن ؟"

أخرج جاويد دفتر البنك ، ووضعه أمامه، ثم قال بصوت عال : ثلاثمائة وخمسون ألف روبية وخمسة وسبعون بيسة " .

- "لكن ما هو نصيبى منها ؟"

- "لقد أخبرتك" رد المدير بلهجـة كلها نفور : "هذا الحساب مشترك بين إقبال بيغم ووالدتك السيدة حسن بى بي"

- "اسمع سـيادة المدير هذا ظلم . . هذا امتصـاص للدماء . . هذا سطو . . يا إلهى . . هذا ظلم، هذا المبلغ كلـه أرسلته إلى أمى من الخارج، وقامت هى بفتح الحساب المـشترك مع إقبال بيغم . . يا سعادة المدير ! سوف أرفع قضيـة . . إقبال بيغم هذه ليست أختى، إنها " حرباية "، إنها " أم أربعة وأربعين" !!!

سمعت إقبال بيغم كلام تاج الدين فاصفر وجهها ، صار كالكركم وكادت أن تصرخ :

- "تاج ! اخجل . . إننى أتفل على أموالك هذه ، ها ها اليوم جاء صاحب الثروة . . اسأل أمك . . هل هى التى طلبت فتح هذا الحساب المشترك أم أنا التى طلبت ؟ اسأل أمك لا تنظر إلىّ وإلا فتحت كل دفاترك وكشفت كل ما خفى" .

ورفعت إقبال بيغم صوتها وهى تنطق بالعبارة الأخيرة حتى شدت انتباه جميع العاملين فى البنك .

سقط جاويد فى دوامة من الارتباك؛ فهذا أمر يتعلق بسمعة البنك الذى يديره ، ماذا درى هؤلاء الناس خارج مكتبه بأن العراك الذى يدور إنما يدور بين أخ وأخته ، ربما ظنوا أنه يدور بين أصحاب الحسابات والمدير نفسه . . .

- "انظرى يا أماه ! حاولى أن تفهميهم ، فالأمر واضح . . المبلغ كان يرسله تاج الدين ، والحساب مشترك بين إقبال بيغم وبينك ، ولهذا فالعلاقة كانت بين البنك وتاج الدين ، والبنك من ناحية لا يجيز إعطاءه أية روبية من هذا الحساب . . يا أماه يمكنك بنفسك حل هذه المشكلة" .

- "يا أخى هذا ما أقوله ، الأموال أموالى ، كنت أرسلها إلى أمى ، فكيف حشرت الأخت نفسها بيننا وأصبحت شريكة فى

الحساب ، هذا ظلم وإجحاف، ولن أسمح بهذا الظلم أبدا، ثم أردف قائلا :

- "يا سعادة المدير إنك لا تدرى . . إن الشركة التى عملت بها فى قطر فى مد أنابيب البترول تحرق مع الجسم الدم أيضا ، لو خلعت قميصى هذا وأريتك فسوف ترى كم من الجراح والحروق فوق جسدى وعلى ساعدى وفوق ركبتى . . " ، ثم قال وهو ينظر إلى أمه :

- "يا أماه لقد كدت أن أفقد حياتى مرتين وأنا أجمع هذه الثروة ، لقد ضعت وسط هجير الصحراء " ، ثم صمت وأخذ نفسا عميقا وقال مخاطبا المدير :

- "يا سعادة المدير ! أنا لم أجمع هذا المال من أجل أن يحقق أخوتى وأخواتى أحلامهم فى الحياة الرغيدة . . هذه قطرات دم تريد إقبال بيغم أن " تشفطها " فى حلقها . . لكنى . . " .

- "كفى ! أوقف هذه الخطبة . . أنت لست أول أو آخر من اغترب عن بلده ، اسمع أنا أختك الكبرى ، من الخير لك أن تفكر أولا . . لنتحاسب ، لقد أعطيتك أربعين ألف روبية حتى تجهز أوراقك للسفر ، وأنا متزوجة وعندى أربعة أطفال . . وبقيت فى الخارج سبع سنوات ، كان طعام الأم وما إلى ذلك على حسابى ، مرضت وأصيبت العام الماضى باليرقان ، وأنفقت على علاجها أربعين ألف روبية ، شراء الملابس ، وخلافه بالإضافة إلى ذلك يموت كل

ثلاثة أشهر تقريبا أحد الأقارب فأذهب مع الوالدة ونؤدى الواجب وكله على حسابى . . . لا تخيفنى هكذا أمام هذا الجمع من الناس" .

- "لكن الحساب لا بد أن يتم هنا حيث وضعت الفلوس"

- "يا أماه لماذا أنت صامتة . . لماذا لا تتكلمى ؟"

نظرت الأم إلى جاويد مدير البنك نظرات تحمل كل معانى الرجاء والتوسل، ثم راحت تنظر بحسرة ومرارة، مرة بعد الأخرى إلى إقبال بيغم وتاج الدين ، وكانت بعض حبات من سبحتها ، تتحرك مجتمعة مع بعضها البعض ، بين أصابعها حين بدأت تقول :

- "أنتما أولادى ، كلاكما فلذة كبدى . . ابنى وابنتى . . والله فوق كسب العمر كله . . ماذا عندى غير هذا ؟"

وصمتت فجأة . . وبدأت حبات المسبحة تتساقط بسرعة بين أصابعها ، وكان جاويد مدير البنك يريد أن يهرب بجلده ، كان يعرف أن الأخ وأخته سوف يستمران على هذا المنوال فى جدل عقيم ، وكان يشعر أيضا أنه إذا لم يصل إلى البيت لتناول طعام الغداء فسوف تموت صافيناز من الجوع والعطش ، وسوف يضطر إلى إرساله إلى بيت أهلها لاسترضائها ، فطالما لن تعود إلى طبيعتها فلن تعود إلى البيت، ولن يستطيع أن يتحمل عذاب هذين اليومين أو الأيام الثلاثة التى تغيب فيها عنه؛ لهذا عرض حلا لهذا الخلاف كله .

- "يا أختاه ! يمكن أن تفعلوا هكذا . . أن تغلقوا الحساب وتسحبوا كل المبلغ وتعطونه للأم . . . فتحسب الأم ما لك ، وتعطى

الباقى لتاج الدين ، فيقوم تاج الدين بفتح حساب خاص به ، فهذا المبلغ كان تاج الدين يرسله من الخارج وحسابه فى البنك كله كان عن طريق الحوالات بالعملة الأجنبية؛ فهو لم يدخل أى مبلغ آخر غير ما أرسل عن طريق تلك الحوالات . . " .

- "صحيح . . بالضبط . . ما قلته صحيح "، أخرج تاج الدين علبة السجائر المستوردة مع قداحة مطلية بالذهب ، وأشعل سيجارته وهو ينظر ناحية أخته . . فسكتت الأخت ربما تحت إلحاح المصلحة . .

- "هيا يا أماه أخرجى دفتر الشيكات حتى يمكن أن نسوى حساباتنا" .

فأخرجت الأم دفتر الشيكات من حقيبتها الصغيرة وأعطته إلى إقبال بيغم؛ فوضعته إقبال بيغم على طاولة المدير وراحت تنظر بكل مرارة إلى الجدران الزجاجية للمكتب وتتفحصها من خارجها وداخلها . . نظرت إقبال بيغم إلى المدير نظرات كلها رعب ثم ألقت بنظرة كراهية تجاه تاج الدين ووضعت دفتر الشيكات أمام الأم وقالت :

- "خذى أعط كل ذى حق حقه" .

وتقدم تاج الدين يريد أن يضع القلم فى يد أمه فإذا بالمسبحة تسقط على الأرض وينفرط عقدها . . . ثم مال جسد الأم البارد وهوى على الأرض ، واسترد الله أمانته التى أودعها عبده .

تمت

جنى القمقمة

(إى حميد) محمد صدر عالم صديقى

نـــظر إلـيّ" الشيخ بابا" وقال :

ما أمنيتك ؟

فقلت : أنا رجل مضطرب الأحوال؛ فـاعطف عليّ برُقية تجعلنى أسيطر على الجن .

أغلق الشيخ بابا عينيه لفترة ثم أمرنى أن "أرمى بياضي" وأعطيه بعض النقود فقلت له بأدب جم :

ليس فى جيبى "بيســة" واحـدة ، ولو أمكن أن تقرضنى خمس أو عشر روبيات الآن فسوف أعيدها لك حين أسيطر على الجن !

غضب الشيخ بابا وهو يستـمع لكلامى هذا ، ونادى على خادمه وقال له :

أخرج هذا الشخص قليل الأدب من مكتبنا فورا . . .

وحين اتجه خادمه نحوى قلت له مستعطفا :

لا تتعب نفسك يا أخى فأنا خارج من تلقاء نفسى .

فتبعنى الخادم حتى الخارج، وقال لى بلهجة كلها عطف :

لماذا تضيع وقتك فى الجرى وراء الشيخ بابا ، لو كان فعلا بداخله شيء من الروحانية . . أتراه يفرض هذه الرسوم ، ويمارس هذه التجارة ؟!

فشرحت له ظروفى الصعبة فقال :

لا يمكننى أن أحقق لك أمنيتك هذه، لكن يمكننى بلا شك أن أعطيك رقية تقرأها فى وقت انتصاف الليل شريطة أن تنزل الماء فى نهر من الأنهار حتى يصل الماء إلى وسطك . . .

فأخذت الرقية وعقدت العزم الأكيد على أن أجربها بكل تأكيد . .

بادرنى الخادم بقوله :

حين يتبعك الجنى عليك أن تعطينى عن طريقه مبلغا بالتقسيط ، وسوف أعيده لك فيما بعد . .

وفى الليل وصلت إلى النهر. . ورحت أتلفت حولى . . أتطلع هنا وهناك . . ولما لم أجد أحدا نزلت إلى النهر كما قال لى الخادم وبدأت أقرأ الرقية . . شلت قدماى من شدة برودة الماء، ولكنى لم أهتم بالأمر . . وحين انتهيت من قراءة الرقية ألف مرة رأيت قمقمة تسبح فوق الماء . . تتجه نحوى . . فحملتها وطلعت إلى الشاطئ. . رفعت غطاء القمقمة ، فظهر لى جنى . . صاح :

لقد كنت نـائما في راحة وسكون . . في هذه القـمقـمة . . منذ ألف عام ، لماذا أزعجتنى . . والآن أخبرنى كيف يمكننى أن أخدمك ؟

فقلت له :

أحضر لى خزائن قارون من حيث كانت ؟

قال الجنى :

إذا كان عندى خزائن قارون فلماذا أسكن هذه القمقمة ؟!

فقلت :

إذن أحضر لى فرختين ، و"دستة" فطير بالسمن البلدى.

فقال الجنى :

أنا نفسى جوعان منذ زمان . .

فقلت :

كيف تكون عـفريتا من الجن إذن ، الـعفاريت من قـبلك كانت تحمل الأميرات، وتأتى بهن من آخر الدنيا فى لحظات . .

فقال الجنى :

أخى . . لقد قمت بهذا أيضا فقام أقارب الأميرات ورفعوا ضدى قضايا ودارت مرافعات . .

إذن أحضر لى خبزا من أى مكان وأطعمنى . . هيا.

قلت هذا فى غضب :

كيف تكون عفريتا . . ؟!

فعاد يقول :

إذن أعطنى خمس روبيات . .

سمعت هذا فطار لبى ، وأصابنى طيش ، وبدأت أضربه، إلا أنه ضم يديه ورفعهما ناحيتى مستجديا قائلا :

أنت مولاى وسيدى . . سأنفذ مـا تأمر به . . الحقيقة أنه منذ أن ضاع منـى "النقش السليماني" . . منذ ذلك الوقت سلبت منى كل قوتى وضاعت منى طاقتى .

بعدها أخذته إلى البيت وأكلت ما وجدته وأطعمته معى . . وفى اليوم التالى استأذننى ليذهب إلى المدينة فأذنت له . .

ذهـــب الجنى إلى المدينة ، ووصل مباشرة إلى مكتب الجريدة ، وهناك قال لرئيس التحرير :

أنا جنى أحتاج إلى وظيفة أو أى عمل . .

فتفحص رئيس التحرير الجنى وقال :

كان هنا من قـبل كثـير من العفـاريت ممن كان يصـعب السيطرة عليهم . . لا عمل هنا لك . . عليك أن تقيس الطريق . .

فـخـرج الجنى إلى الشـارع وراح يقـيس الطريق . . ورآه الناس يفعل هذا فتحيروا وتجمعوا من حوله . . فسأله أحدهم :

ماذا عساك تفعل ؟

فقال الجنى :

لقد أمرنى سيدى أن أقيس الطريق، وها أنا أفعل ما أمرنى به .

راح الناس يضحكون بعد أن سمعـوا كلامه ، فتطلع إليهم الجنى وقال :

يا أخوتى أنا عفريت من الجن ، إمـا أن تدلونى على عمل وإما أن تعيدوا إلىّ النقش السليمانى . .

كان الأطفـال أيضا قـد تجمعـوا فى ذلك المكان ،وبدأوا يمطرون الجنى بالأحـجـار ، فـاخـتـفى من المكان من فـوره . . ووصل إلى صاحب مكتبة لبيع الكتب فقال له :

اعطنى النقش السليمانى إن كان عندك . .

فقال بائع الكتب :

لا يوجد عندنا النقش السليمانى ، لكن بالتـأكيد عندنا المجموعة الشعرية للشاعر المشهور فيض أحمد فيض . .

فتركه الجنى وانطلق حتى وصل إلى سوق "أناركلي" فرأى رجلا يبيع الملح السليمانى فقال له الجنى :

يا أخى إنك تبيع الملح السليمانى .. لابد أنك تعرف شيئا عن النقش السليمانى .. دلنى على مكانه فأنا أبحث عنه منذ أيام ..

فسأله بائع الملح السليمانى :

لكن من أنت ؟!

قال الجنى :

أنا عفريت من الجن ..

فاستدعى بائع الملح السليمانى شرطيا ففر العفريت من المكان على الفور .. ووصل إلى المدينة، فرأى من بعيد قلعة السلطان القديمة فظن أنه يمكن أن يجد فيها النقش السليمانى .. فاتجه إليها .. كانت القلعة خربة خاوية .. فقد انتهى عهد السلطان وزال، ولم يبق فيها غير المبانى .. فراح العفريت يتطلع هنا وهناك .. فرأى سردابا.. فدخله .. فرأى أمامه رجلا نحيفا ضعيفا كأنه الشبح يضع يده على بطنه ويولول .. فبادره الجنى قائلا :

من أنت .. ولماذا تتألم هكذا ؟

سمع الرجل كلام الجنى فأخرج من جيبه " بطاقة " ومدها إلى العفريت وقال :

اسمى "هولاكو" فى زمن ما دمرت مدينة بغداد طوبة طوبة ..

وعلى الفور أخذ الجنى قالبين من الطوب وحطمهما قائلا :

أنا أيضا يمكننى أن أحطم طوبة وطوبة هكذا . . .

فقال هولاكو وهو يتأوه :

آه جيشى دمر المدينة بيتا بيتا وخرب البيوت طوبة طوبة ثم مضى وتركنى هنا فى زنزانة القلعة هذه . . ومنذ ذلك الوقت وأنا سجين . . يأتى الناس فيشاهدوننى ويسخرون منى . .

قال الجنى :

لماذا تمسك بمعدتك ؟

فرد هولاكو :

"يا أخى أنا أشكو من انتفاخ فى معدتى" ، واستمر فى حديثه قائلا :

لكن من أنت ولماذا جئت هنا ؟

فقدم له الجنى نفسه فصرخ هولاكو قائلا :

أنت جنى علاء الدين . . يمكنك أن تساعدنى . . احملنى من هنا . . خذنى إلى قصرى الملكى . .

فاعتذر الجنى قائلا :

لقد جئت إليك الآن أطلب منك قرضا . .

لعلك لم تقرأ البطاقة بطريقة صحيحة . . لقد كتب فيها : لا تخجل هولاكو بطلب قرض منه . .

فقال الجنى :

إذن . . فلعلك تخبرنى أين يمكن أن أجد النقش السليمانى الذى ضاع منى ؟

راح هولاكو يجوب المكان على مهل ثم توقف . . وحينئذ رأى الجنى فى قدم هولاكو اليمنى صندلا من البلاستيك وفى قدمه اليسرى فردة حذاء قديمة . .

فتح هولاكو حقيبة يده وأخرج نقشا أراه للجنى قائلا :

تفضل هذه أمانتك . . لقد ظللت محتفظا بها لمئات السنين .

رأى الجنى النقش السليمانى فبلغ منه السرور حده ، ووضع النقش السليمانى فى جيب لصيق بصدره لعل قوته تعود إليه . . وشكر هولاكو واختفى خارجا من القلعة ، ولم يكد يخرج من بوابة القلعة حتى فقد كل طاقته وجميع قوته . . فبينما كان يطير وجد نفسه يسقط فوق أشجار حديقة ثم يسقط على الأرض ، فحاول العودة إلى السرداب الذى وجد فيه هولاكو . . وراح يتطلع هنا وهناك فلم يجد أحدا، وفى ركن وجد شباكا معلقة على الجدران . . فخرج من القلعة وقد أصيب بالسقم ، وكادت روحه تخرج منه لما كان يعانيه من جوع شديد ، فجلس يتناول الطعام فى أحد المطاعم ، وحين انتهى من الأكل طلب منه عامل المطعم الحساب فقال له الجنى :

"أنا جنى ألف ليلة وليلة" .

فبدأ عمال المطعم يوسعونه ضربا وركلا وهو يصيح قائلا :

"أنا جنى ألف ليلة وليلة . . لا تضربونى . . لا تركلونى . . " .

وسلمه عـمال المطعم إلى الشـرطة ، فأدبه رجال الشـرطة تأديبا جعله يصرخ ويصيح :

أرسلونى إلى بغداد . . ضعونى فى قمقمى وأغلقوا على . .

لكن أحدا لم يستمع لصياحه وندائه .

وفى اليوم التالى أحضر الجنى إلى المحكمة حيث صدر عليه حكم بالسجن لمدة شهر ، وفى السجن ساءت حال الجنى، وكان يقول لكل شخص :

"أنا جنى ، أنا عفريت من الجن . . أنا جنى . . " .

لكن لم يكن هناك من ينـصت إليه ، وأشـبعـه المساجين ضـربا وركلا وأدبوه تأديبـا كان يستحـقه ثم شغلوه فى العديد مـن الأعمال واستخـدموه هنا وهناك . . . وبعد أن خرج من السـجن كانت حاله مختلفة تماما بينما برزت عظامه تريد أن تخرج من جلده . . .

رق قلبى له كثيرا . . فقلت له :

هل من وسيلة يمكننى بها إعادتك إلى عالمك ؟!

فتنهد الجنى وقال :

يا أخى لا يوجد أى نقش سحرى يمكن أن يعيدنى إلى عالمى . . والله وحده يعلم ما هو مصيرى على يد هؤلاء الناس . . . من بنى آدم . .

ولا يزال الجنى يجلس - هذه الأيام - تحت شجرة على شاطئ نهر "الراوي" على هذه الحال ، حتى جف عوده وصار كالشوكة . . وهو يضم إلى صدره قمقمته القديمة ، وكلما مر من أمامه شخص طلب منه الجنى أن يدخله فى القمقمة ، فيضحك الناس على حاله . . ويمضى كل منهم إلى حال سبيله . .

ففكرت فى خطة محكمة . . .

حين يموت هذا الجنى سوف أبنى له قبرا أجعل فوقه ضريحا له قبة ليكون مزارا، وأطلق عليه اسم ضريح " بابا جنى " . . ولا بد أننى سوف أكسب على الأقل خمس أو عشر آلاف روبية فى الشهر . .

فالجنى الحى لا يفيدنى بشيء . . لكن بلا شك الجنى الميت سوف يغير من حظى ومن قسمتى ونصيبى !!

تمت

شعاع الشمس الأخير

غافر شهزاد

دار مع منحنى الشارع، واستقام "التاكسى"، ومضى يقطع الشارع بسرعة ، كان يمضى بسرعة وهو يتطلع إلى مدى البصر ، لكن على البعد لم يلمح أى "زبون".

كان الوقت قبيل العصر ، الساعة الثالثة والنصف ، وفى شهر يونيو عادة ما تكون الشمس على ارتفاع ذراع وربع الذراع، إلا أنها اليوم تبدو وقد تدنت أكثر من هذا ، وصار من الصعب أن يفتح الإنسان عينيه لينظر أمامه وسط هذه الحرارة المحرقة ، توقف عند الإشارة الحمراء فرأى على بعد عدة أقدام بعض الأطفال ، نظر إلى هؤلاء الأطفال الذين ارتدوا ملابس غطتها الوساخة والقاذورات من فوق صدورهم ، ومضى خلف "أمجي" كان "أمجي" ولده الوحيد ، اسمه أمجد لكنه حين بدأ النطق فى طفولته كان يقول لأمه "أمجى" ، وهكذا لصق به هذا الاسم" أمجي".

رقد أمجى فى الفراش منذ خمسة أيام ، وخلال الأيام الخمسة تلك مد والده قدميه أكثر من قدر لحافة ، وعالجه من المرض الذى ألم به ، لكن الطفل كان مصابا بالحمى التى لم تتركه أبدا ، وكانت

الحرارة إذا ما خفت شدتها قليلا لفترة بسيطة فتح أمجى عينيه ، فتعود الحياة والبريق إلى عينى أمه وأبيه . . أضعفت حُمّى الأيام الخمسة أمجى ، جعلته كالقشة ، لم يكن بصحة جيدة قبلا ، لكنه رغم هذا كان يجرى ويمرح هنا وهناك ، وكان يحيل البيت إلى بهجة وسرور بشقاوته ، ولكن منذ الأيام الخمسة الماضية بدا البيت وكأن ثعبانا لدغه ، لفّه صمت رهيب لدرجة أن صوت أنفاس أمجى كانت تسمع واضحة . . وعمت الكآبة وران الصمت على جدران البيت وحتى على أبوابه وكأن عفاريت الغابة حلت به وسكنته ، وخلال الأيام الخمسة فقد الوالد كل طاقة بداخله ، ووسط هذا الاضطراب والقلق - ونظرا لمشاغله ليل نهار - لم يتمكن من الخروج بالتاكسى ولو لمرة واحدة . . ذات يوم أخذ التاكسى وخرج ، وقبل أن يصل إلى الشارع العمومى دق قلبه وزادت دقاته ولم يتمكن من المضى لأمتار ، فعاد بالتاكسى وأوقفه ثانية بجوار بيته . . كما كان .

اليوم هو اليوم الخامس ، خلا جيبه تماما من النقود . . لم يبق معه ولا روبية ليشترى الدواء الذى كتبه الطبيب ، تشجع وخرج بالتاكسى ، فى ذلك الوقت كان " أمجي " فى حالة نصف إغماء أو ربما كان نائما ، لكن كان هناك نوع من الاطمئنان، فأنفاسه لازالت تتردد بداخله . . فى ذلك الوقت كانت الطيور تأوى إلى أعشاشها وتحتمى بعضها بأوراق الشجر . . تشجع وقاد التاكسى إلى الشارع العمومى . . كانت الكلمات المطمئنة التى قالتها " أم أمجى " قد تراءت له حروفا أمام عينيه ، لكن فى هذا الجو الحار لم يكن فى

الإمكان وجود "زبون" يركب التـاكسى .. فى ذلك الوقت تمنى أن يجد راكبـا يذهب به خـارج المدينـة إلى مـدينة أخرى حـتى يحصل منه على أجـرة مـعـقـولة ، وحين راودته هـذه الفكرة حـوّل اتجـاه التاكسى ناحيـة طريـق المطار ، لم يكن يدرى هل هناك طائرات قادمة أم لا ..؟ لكنه عـقد الأمل على هذه الـفكرة ، ففى لحظات اليـأس القاتل يتصرف الإنسان هكذا ...

عبر "جسر شيـرباو" ودخل منطقة "الكامب" القريبة من المطار وحين اتجه إلى الشارع المـقابل وقعت عيناه من بعـيد على صبى راح يشير إليه بعد أن رأى التاكسى ، وساوره الشك أولا لكنه حين أوقف التاكسى وعاد إلى الخلف رأى صبيا فى الثـالثة عشرة أو الرابعة عشرة من عمره ، يجرى بسرعة ..

لقد كان يأمل فى وجـود زبون يأخذه إلى خارج المدينة لينال منه مـبلغا كـبيـرا ، لكن هذا الصـبى ! لم يدر كـيف تراجع عن فكرة الذهاب إلى المطـار ، وفى لمحـة أو أخـرى وصل الصـبى ، كـادت أنفـاسه تتـقطع وبلله العـرق كأنه خـارج من حـمام ، ومن كلمـاته المتقطعة نتيجة تلاحق أنفاسه فهم منه أن الدم خرج من فم وأنف أخته ولم ينقطع حـتى الآن ويود الذهاب بهـا إلى مسـتـشفى الشـيخ زايد ، مستشفى الشيخ زايد ..

كان مـستشـفى الشيخ زايد على بعد عـدة كيلومتـرات .. ماذا سيـعطيه هؤلاء الناس ؟ عـشرون .. ثلاثون روبيـة ، لكن دواء ابنه

أمجى يحتاج إلى أكثر من هذا المبلغ ، وقبل أن يضغط على "دواسة البنزين" لينطلق بالتاكسى نظر إلى الصبى ، فطوقته سلاسل المسكنة المرسـومة على وجه الصبي، فلم يتـمكن من الحركة .. ولم يتمكن من الانطلاق إلى المطار .

البنت التى كـانت فى الغالب أخت هذا الصـبى كانت فى حـالة سيـئة .. كـان الدم يندفع من فمـها وأنفـها دون توقف وبسـرعة ، فـأركب البنت وأمهـا فى المقعـد الخلفى وهرول الصـبى إلى المقعـد الأمامى ، ثبت عداد التـاكسى وانطلق ، عبر جسـر شيرباو، ووصل إلى طريق السجن، وبدلا من أن يمضى مع الشارع الموازى للنهر (وهو الطريق الأسـرع) وجـد نفـسـه دون أن يدرى ينحـرف إلى الاتجـاه المعاكس، وفى مدة بسيطة كان شارع القائد الأعظم .

انشغلت الأم بمحاولاتها مسح الدماء المتدفقة من أنف ابنتها بقطعة من القـماش ، كـانت على يقين من أن الصـبى الجـالس فى المقعـد الأمامى لا يـعرف الطريق إلى مـستشـفى الشيخ زايد ، وأمـام بيت المحـافظ وحين عـرج على منطقـة "شـادمان" نظـر فى المرآة للخلف ليطمئن على أن السيدة لا تنظر إليه .. إلا أنه سمع الصبى يقول له : عمـى أسـرع قليلا يا عمى ، فالدمـاء تسيل بسرعـة ، من فضلك يا عمى أسرع" ومن شادمـان وصل إلى طريق "فيروز بور" ثم اتجه إلى طريق النهر .

كانت السيارة تنطلق بأقصى سرعة، إلا أن أم الفتاة لم تتمكن من الشعـور بمسافة الذهاب التى طالت ، مـرة كانت تود أن تقول شيـئا

لكن وجهها اتجه إلى عينى الفتاة المفتوحتين نصف فتحة، وراحت تنادى عليها، وراحت تصرخ وتصيح : "افتحى عينيك . . افتحى عينيك" ، لكن فى تلك اللحظات كان التاكسى قد خلف وراءه المدينة الجامعية، وانطلق من شارع النهر إلى طريق الوحدة حيث يقع مستشفى الشيخ زايد . . وحين توقف التاكسى أمام "عنبر" الإسعاف كانت الفتاة فى نصف غيبوبة، ولكن السائق كان ينظر إلى عداد التاكسى : خمسة وثلاثون كيلو مترا أى مائة وستون روبية. . حملت الفتاة إلى حجرة الإسعاف ، أعطت السيدة السائق عنوانا أرسلت معه الصبى وأخبرته بأن يحضر والده بأسرع ما يمكن من المكتب ويأتى به وأخبرته أيضا بأن يقول له بأن يعمل حسابه على ترتيبات نقل الدم فلابد أن البنت ستحتاج إلى نقل دم بعد كل ما حدث .

لقد مشى التاكسى مسافة لإحضار والد الفتاة وترتيب كمية الدم المطلوبة مما جعل الاطمئنان يبدو على وجه سائق التاكسى وهو يقف فى نهاية المطاف أمام "عنبر" الإسعاف . . كان الدخان منتشرا فى كل مكان ، وكان صوت المؤذن لصلاة العصر يسمع من بعيد ، ورؤية الطريق وسط هذا الدخان الكثيف متعذرة ، ومع هذا اتجه إلى الشارع المؤدى إلى بيته وانطلق بأقصى سرعة . . وفى الطريق لم يدر من أين اشترى الدواء ، اكتشف ذلك فقط حين أوقف التاكسى فى شارع واسع وراح يهرول بنفسه متجها إلى حارة باتساع ثلاثة أذرع ،وبعدها بأمتار كان أمام البيت ،وكان قد تعود أن يوقف التاكسى خلف الحارة المواجهة لبيته لكنه شعر أن ذلك سيستغرق منه وقتا أكثر . . كان يود

أن يوفر ولو دقيقة وحتى لحظة .. فالمسافة بين الشارع الواسع والحارة الضيقة تستغرق فقط ثلاث أو أربع دقائق ..

حين فتح باب البيت وجد البيت كله وقد لفه الدخان ، لم يدر من أين جاء كل هذا الدخان ، ووسط الدخان وقعت عيناه على وجه زوجته ، ثم على أمجد الذى كان راقدا وعلى وجهه مسحة من الاطمئنان ، وبجواره تراءت له تلك الفتاة ترقد على السرير المجاور ، كان السرير ملطخا بالدم الأحمر القانى بينما قطرات الدماء تتساقط واحدة تلو الأخرى على الأرض ، وجاءت سحابة من دخان فحمل الاثنين معا فى حضنه .. ومن بعيد تناهى إلى سمعه صوت الأذان .. ولحظة من بعد أخرى لفت الظلمة كل شىء .

تمت

نوبة قلبية

ظفر إقبال

منذ قليل وصلني في المكتب خبر مفاده أن "أحسن" تعرض لنوبة قلبية وهو قابع في غرفة الإنعاش المركز . . كان هذا الخبر بالنسبة لي محيرا؛ لأننا كنا معا ليلة أول أمس ، تناولنا الطعام معا، وتبادلنا الحديث لفترة متأخرة . . .

كنت و"أحسن" ندرس معا في كلية واحدة بمدينة سيالكوت ، وكانت بيني وبينه معرفة طيبة بسبب علاقتنا وانتمائنا لحي واحد بالمدينة ، بعد الحصول على الليسانس انتقل أحمد إلى كراتشي للبحث عن وظيفة يقتات منها ، أما أنا فسافرت إلى المملكة العربية السعودية للعمل . .

وفي الإجازة التقيت به مرة أو مرتين، وعرفت أن والده قد انتقل إلى رحمة الله؛ فكان عليه واجب إعالة والدته وأخواته الثلاث . . ثم انقطعت صلتي بأحسن . . . ومنذ عدة شهور وفجأة التقيت به في حفلة من الحفلات ، فعرفت أنه يعمل في مدينة الرياض منذ أربع سنوات مضت، ورحنا نجدد علاقة الصداقة القديمة ونلتقي معا كل يوم . .

بعد الانتهاء من العمل بالمكتب خرجت متجها إلى المستشفى، وكان أحسن قد نقل من غرفة الإنعاش المركز إلى "عنبر" المرضى

وقد تحسنت حالته قليلا ، إلا أن تأثير النوبة كان لا يزال واضحا على وجهه ، اطمأن قلبى وانتظرت قليلا ثم سألته فى حيرة كيف تعرض لهذه النوبة القلبية ؟ فسكت للحظات ثم أخرج من تحت وسادته خطابا ناوله لى . .

فتحت الخطاب وبدأت أقرأه . . كان الخطاب من زوجته التى كتبت له ما يلى :

"زوجى . . ورفيقى العزيز !

أبعث إليك بسلامى . . .

الشكوى والشكاية من غير داع أو العراك دون ما سبب ليس من طبعى ، وبطبيعة الحال فأنا راغبة عادة فى حل القضايا بالصبر والتفاهم ، لكن تحملى للغبن والظلم له حدود ، وحين تأكد لى أن موقفى المتسم بالصبر والتفاهم فاق كل حدود طاقتى ، وأنه لا توجد إمكانية لإنهاء الظلم رحت أدافع بكل قوة . . .

هذه الكلمات التى أمتدح بها نفسى ضرورية ، ذلك لأنه خلال سنوات "الرفقة الشرعية" الثلاث الماضية ، أقصد خلال سنوات الزواج الثلاث الماضية لم نتقابل معا أكثر من ثلاثة أشهر ، وبالتالى لم تتيسر لنا فرصة لتبادل الأفكار أو فهم كل منا للآخر . . فبعد الزواج بعشرة أيام انتهت إجازتك ، وسافرت إلى الرياض ، وفى العام التالى جئت فى إجازة فكان زواج أختك ، وحين حانت الفرصة لنكون معا بعد انتهاء احتفالات ومراسم الزواج وما إلى ذلك ،

انتهت إجازتك .. ثم كانت الإجازة التالية فوهبتها لإصلاح البيت ولقاء الأقارب والأصدقاء ، وأنا على يقين كامل من أن الإجازة القادمة سوف تضيع فى لقاءات الأحبة والأصدقاء وما شابه ذلك من أمور تعودت عليها خلال إجازتك السابقة .. ولن تتمكن من أن تجد وقتا لسماع كلامى أو فهم حديثى ، وسوف أجد نفسى بالتالى مجبرة مرة أخرى على تنفيذ حكم بالسجن مع الأشغال الشاقة (لمدة سنة) ، ولهذا لا أريد أن أثير أحاديث كلها مرارة .. بل أكتب إليك أمورا واقعية وحقيقية ..

لا أريد أن تسيء فهم ما أقوله لك .. إن الحياة التى عشتها فى السنوات الثلاث الماضيات كنت فيها لا أزيد عن كونى " خادمة " مثقفة متعلمة .. وحتى " الخادمة " تحصل على تسهيلات من نوع معين ، تحصل على راتب شهرى ، أوقات عملها محددة ، يمكنها أن تذهب أحيانا إلى حيث تشاء ، لكنى كنت خادمة مقابل " الطعام والملبس " إذا انتهيت من العمل لا يسمح لى بالخروج من البيت .. بعد صلاة الفجر يبدأ عملى ، ويستمر هذا العمل حتى الليل ، بل أحيانا أسمع أصوات النداء .. تصك أذنيى فى حجرتى :

- "قدم بعض الضيوف".

نعم قدم بعض الضيوف فجأة ، وأبدأ من جديد أدور فى طاحونة العمل، وكنت أتذرع أحيانا بالتدريس لأخواتك لأستريح بعض الوقت .. ونتيجة لهذا الضجر والملل والضيق المتواصل رجوت

"حماتى" بكل رقة وخضـوع وتذلل أن تسمح لى بالتدريس فى كلية البنات القريبـة من البيت؛ فأقـامت الدنيا وأقعدتهـا و"طربقت" فرق رأسي السـمـاء . . وراحت توجـه لى الكلام وتتـهـمنى بأن النقـاب انكشف وظهرت نتـيجة تعـليمى، وانكشفت حـقيقـة شخصـيتى مما أصابنى بالـدهشة . . وفزعت حين ذكـرت لى أننى أطعم خيـر طعام وألبس خير ملبس . . فماذا أريد بعـد ذلك ؟! وأعتقد أنك تتفق معى فى أن هذه الأشياء - سواء كانت طيبة أو غير ذلك ـ كانت ميسرة لى فى بيت والدى .

فى كل شهـر وحين كانت تصلنا "حـوالة البنك" كانت حـماتى أقصد والدتك تكيل لك الدعاء. . لكنك ربما نسيت أن فى هذا البيت إنسانا آخر يدعو لك ،يحتاج بل يضطر أحيانا لبعض النفقات المالية . . ولقد أقلعت الآن عن هذه المطالبة ، ولكن إذا حدث ونسيت وطلبت مبلغـا ما أحـتاج إليه فـإن الأذى يصل حتى إلى أعـماق روحى . . أليس لى حق عليك ؟ وفى الإسـلام حـيث تعالـيم حقـوق الوالدين يوجـد أيضا أحكام خـاصة بحـقوق الزوجة . . ! فـبعـد الزواج تقع مسئولية الزوجـة على زوجها ، ليس على أم الزوج وأخوته وأخواته ، فالزوج هـو ولى أمر زوجتـه. . ربما لا تعرف أيضـا أنك لا يمكن أن تبقى فى بلد الغربة لمدة معينة دون موافقة الزوجة. .

هل حاولت مرة أن تشعر بضرورة التعرف على وجهة نظرى فيما يتعلق بهـذه الغربة المتواصلة ؟ لقد راقت لنا فلـسفة الحياة الهـندوكية لدرجة أننا تركنا التـفكير بطريقة إسـلامية ، فطبقـا للعرف الهندوكى

فإن عقيدة المرأة تحتم عليها أن تقضى حياتها فى خدمة الزوج وجميع أهله ، فإذا ما مات الزوج وجب على الزوجة أن تحرق نفسها ، فلا يوجد هنا تصور لأن تبقى المرأة وحيدة .. بعد الزواج لا يكون أمام الزوجة من طريق سوى التحمل والصبر .. فمن حيث يتجه "هودج العروس" يكون خروج جنازتها .. ومن الناحية الشرعية لا توجد نصيحة صحيحة .. لكن الأمر يا سيدى فى الإسلام مختلف .. فالزواج فى الإسلام عقد .. عقد بين طرفين .. فيه حقوق وواجبات ، والفريقان مكلفان بأداء مسئوليتهما على أكمل وجه وأحسن طريقة ، ومع أن للزوج بعض الصلاحيات فى بعض الأمور، لكن هناك على كل حال توازن وتناسب فى حقوق كل منهما ... وإذا لم تكن تصدق كلامى فاقرأ الآيات المتعلقة بذلك فى سورة البقرة والنساء وآل عمران وسورة النور .

ضع يدك على قلبك قليلا .. وأخبرنى هل تعيش فى غربتك نفس الحياة التى نعيشها نحن جميعا هنا : حياة الدعة والراحة .. حياة البهرجة .. ونحن هنا نتجمع أحيانا حول التلفاز نتمتع بما نشاهد وأنت : هل فكرت ذات مرة فى شقائك وتعبك ؟ وما الهدف من ورائه ؟ ومن أجل أى شيء .. ما هى الثروة التى جمعتها حتى الآن ؟ كل عام يضيع منك ما يقارب ٤٠ بالمائة من ميزانيتك فى شراء الهدايا التى توزعها على الأقارب والأصحاب .. فى النهاية لماذا تقدم للجميع الهدايا بينما حين ترجع إلى غربتك لا يفكر أحد فى تقديم أية هدية لك ؟! لماذا هذا التعامل من طرف واحد ؟!

لو حدث وانتهى عـقدك واضطررت إلى العودة فجأة فمـا عساك تفعل هنا ؟ أقاربك يلتـفون حولك . . يحيطونك بعطفـهم ورعايتهم طالما أنت هناك فى وظيفـتك، وفى اليوم الذى يعرفون فـيه أنك قادم إلى باكستان قدوما نهائيا فسوف أكون أنا فقط التى تنتظرك فى المطار . .

حين تأتى أختك وزوجـها إلى البيت ، نعـاملهم معاملة "كـبار الزوار . . VIP" نحيطهم بكل رعاية . . نطبخ لهم أشهى أنواع الطعام . . نرتب لهم رحـلات النزهة والفسـحة هنا وهناك . . وترن فى جـميع أرجاء البـيت الضحكات والنكات . . . أمـا أنا فيـعاملوننى مـعاملة الخـادمات . . فـهذه مـهمـتى : إعداد الطعـام . . التنظيف . . كى الملابس وخـدمة الجـميع . . أهل البـيت وضيـوفهم وحـتى ضيـوف ضيوفـهم . . هل هذه الحياة هى حياتى . . وإلى مـتى تمضى حياتى على هذا الشكل ؟ أما سلوك حماتى - أمك - معى تجاه ابنتها وزوج ابنتها فهو سلوك يظهر منه التضاد والتباين الكامل . . . سبحان الله ! حين يأتى والداى - وقل أن يـأتيا - لـيطمـئنا علىّ ، يسـود البـيت صمت ملىء بالأسرار ، ويكون علىّ أيضا القيام بإعداد الشاى ، فلا تكون أمامى فرصة للترحيب بهم أو الجلوس معهم ، لا يعامل والدى معامـلة الضيوف الآخرين وحـماتى - أمك - تعطيهم إحسـاسا بأنهم أشخاص غير مرغوب فيهم . . ما هذه العادات العجيبة ؟! ولماذا هذا السلوك الذى يرمى إلى إذلال أهل الزوجة ؟ هل هذا أمر شرعى ؟!

لا علم لى بفلسفتك فى الحيـاة ولا أدرى ما هى أفضليتك فى هذه الحياة ؟ وما هو مفهوم مسئوليات الزواج لديك ؟

فى اعـتقـادى أن للزواج هدفًـا يتمـثل فى لقـاء الطرفين معـا ، وترتيبهم معا حياتهم العملية طبقا لميولهم ، وأنا لم أظهر هذه الرغبة، أقصد أن نقـضى حياتنا فى يسر شديـد، وأن نرفع من "مستوى معـيشتنا "عن طريق "الغربة" التى لا نهاية لها ، مع أن تصور مستوى الحياة عندى يخـتلف عن تصـور عـامة النـاس . . أنا لا أريد هذا الكسب الذى ثمنه وقيمـته بعدنا وانفصالنا عن بعض باسـتمرار . . ذلك لأن الحياة الزوجية لا يمكن أن تتحطم بسبب الرغبة فى الحصول على بعض الأجهزة الكهـربائية . . إننى أحاول بكل اتزان ومعـقولية أن أطلعك لآخر مرة . . إنه من المستحيل أن أقدم المزيد من الخدمات من حيث كونى خادمـة . . هذا أمر غير مـعقول بالنسبـة لى . . يجب أن تعد العدة لتدعونى إلى السعودية فى ظرف أربعة أشهر ، وإلا جهز نفسك للعودة إلى . . وإلا فـإننى من حيث كونى طرفـا فيما بيننا من عـقد أحتفظ لنفسى بجميع الحقوق فى إعـادة النظر فيما يتعلق بعقد الزواج . .

مع سلاماتى وأشواقى

شريكة حياتك

قرأت خطاب زوجة أحـسن . . ودارت رأسى . . واستندت إلى الكرسى . . وجلست . . فأنا أيضا فى بلاد الغربة . . بدون زوجتى . . منذ سبع سنوات .

تمـت

شوكة فى بستانك الجديد

عقيلة كاظمى

كانت سعدية أختى الشقيقة؛ لذا فأنا أعرفها وأفهمها جيدا ، وكانت بحكم كونها الأصغر فى البيت محببة مدللة من الجميع ، فارقت الأم الدنيا ولم تكمل سعدية عامها الأول؛ فأعطاها الأب من رعايته وحبه ما حاول به أن يعوضها عن فقدان الأم ، لكن ربما لا يمكن للآباء أن يعوضوا فقدان الأمهات مهما فعلوا . . . فالأمهات مهما كن فهن يعوضن نقائصهن بفيضانات من المحبة لا نهاية لها.

ولم تكد سعدية تصل إلى الصف الرابع فى المدرسة حتى حرمت من ظل أبيها ، فواجهت زوجة الأب ، وكان من خير الجميع أن الله لم يرزقها "بالخلفة" من ناحية، ومن ناحية أخرى أنها كانت ابنة خالة أبينا فكان قلبها مملوءا بالحب والرحمة ، وهكذا تربت سعدية فى حضن ناصرة بيغم، وكانت أحيانا تنال ضربا وتأنيبا منها.

عشق الجميع شكل سعدية الساذج ، عينيها الزرقاوين ، لون بشرتها الفاتح، وشعرها الأسود الفاحم المجعد، وقدها الممشوق ، ولما كانت نحيفة القوام فقد بدت للجميع كأنها " عروس دمية " . . كانت تدور فى الحوارى شعلة من النشاط تعشق اللعب تقلد هذا وذاك

وهى تقفز هنا وهناك . . أما عن حكاية تحفيظها القرآن الكريم فهى حكاية لا تنسى . . حدثت مشاكل لا حصر لها . . يا إلهى فبينما يأتى "الفقيه" الذى يقوم على تحفيظها القرآن تغيب سعدية ويبدأ الصياح والصراخ للبحث عنها ، ويجرى أطفال الحى هنا وهناك يبحثون عن سعدية ، ولكن لا أثر لها . . وهكذا كانت تغيب عن الدرس عدة مرات فى الأسبوع الواحد، وفى حوالى سنتين مرت أيامها طويلة ختمت سعدية القرآن الكريم ، وكان هذا الفخر من نصيب ناصرة بيغم التى علمتها الصلاة والصوم وكل ما يتعلق بالتربية الدينية بكل معانيها . . . وظلت سعدية تتدلل على الجميع ، فى الصباح تنهض من نومها دائما متأخرة ، يعلو الصراخ ويستمر لدقائق تمر كالساعات وسعدية تغلق "أذنا من طين وأخرى من عجين" ، وفى وقت الذهاب إلى المدرسة تنهض قبلها بعشر دقائق أو خمس عشرة دقيقة فتغسل يديها ووجهها وكأنها تعبث فى الماء بيديها وتمشط شعر رأسها من أعلاه فقط ثم ترتدى زى المدرسة وتنطلق من البيت . . لكن كان هناك شىء واحد؛ فرغم كل هذه القذارة فيها إلا أنها كانت تبدو لكل من ينظر إليها نظيفة طاهرة، وكانت بطبيعتها سريعة البديهة ذكية تلتقط كل ما يتعلق بالمودة : فهى تطيل أظافرها ، وتأخذ المقص من البيت وتقصر شعرها ثم تعقصه، وتنزل بعض الشعيرات على جبهتها فيزيد هذا من جاذبيتها ويبرز ملامح شقاوتها . . كم من مرة أنّبتها المدرسات على هذا، ولكنها لم تتراجع . .

ومرت الأيام وكبرت سعـدية . . . صارت شابة ناضرة، وبدا فى عينيها الزرقاوين مزيدا من اللمعان ومزيدا من العمق ، وزاد اهتمامها بالمودة أكثـر فأكثر ، وكم كـانت تود أن تزيد من اهتمامهـا ولكن ما باليد حـيلة ، لم يكن لديها سبيـلا إلى هذا لضيق ذات اليد ، فـبعد وفاة الوالد عمل الأخوان كل فى وظيفة على قدر حاله، وكانا يقاسيان شظف العـيش ، إلا أن أحـدهما ظـل يتلقى تعليـمه بـالإضافـة إلى وظيفته ، زاهد الذى أحب سعدية حـبا لا حد له ، كان إذا ما أحضر طعاما للبيت سلمه لسعدية ، وكان إذا أراد المزاح أو الضحك ضحك مع سعـدية، المهم أن تمييـزا وتفضيـلا حدث بين الأختـين فى البيت الواحد . . نعم الأخ الأكبر شاهد كان غير متحيز لأحد منهما ، كان "درويشا" يعيش فى حاله إلا أنه كان يحسن السلوك مع الجميع على حد سواء، ولهذا لم يحدث أن اشتكى منه أحد أبدا .

كانت سعدية ذكـية شقية، وكما تقول ناصـرة بيغم عنها دائما : "إنك تراها أمامك وفى لمحة تنشق الأرض وتبتلعها" ، أما أختها شاذية فـهى "بنت دوغـري" على طول لا تعـرف اللف أو الدوران ، وهى دائما موضع نقد سعدية ، كـانت شاذية تمضى طيلة يومها غارقة فى الكتب ، تنتحى جانبا ويلفها الصمت ، وهكذا تعيش حياتها ، لكنها فى نظر أهل بيتهـا فتاة حمقـاء من الدرجة الأولى لا وزن لرأى تقوله بل تؤمر بالسكوت قـبل أن تنطق بلفظ واحد . . لكن الوضع بالنسـبة لسعـدية مختلف، فـهى مقبولة لدى الجـميع ربما لأنها دائمـا تتولى أعمال المنزل ولديها شوق ورغبـة فى الحياكة وأشغال الإبرة والتطريز . .

لا شك أنهـا بالنسـبة للـدراسة حـصلت على درجـات مـتدنيـة فى امتـحانات الثـانوية، ومع هذا فـقد فـرحت كثـيرا إذ وجدت ذريـعة للتخلص من الذهاب إلى المدرسة . . لا كتاب ولا مجلة ولا جريدة؛ فلم يكن لديها أى اهتمام بمثل هذه الأشياء .

اعتاد معظم ابن جيـراننا على أن يأتى إلى بيتنا ، كان على درجة عالية من الذكاء ، كثـيرا ما كان يستغفل سعدية مـداعبا إياها ، كما كان يقوم بمساعدة ابنة خالته بدفعها على الأرجوحة بسرعة إلى أقصى ارتفاع يمكن أن تصل إليـه ، كانت ابنة خالتـه صديقة لسعـدية وأمينة أسرارها فكانت تحكى لها قصصا عن "مـعظم" تثير غضب سعدية إلا أن سعدية كانت تتحمل قولها وتكتم غيظها ولا تبيح به لفاطمة .

فى البيت وقع يدهم على خطاب لسعدية ، لكن أحدا لم يناقش الأمر "إنها طفلة" قالوا هذا لإغـلاق ملف الحديث عن هذا الموضوع وكان هذا من حـسن حظها ،فأسرة سـعدية أسرة محـافظة جدا ولا تتهاون فى مثل هذه الأمور ، كما أن سعدية من ناحية أخرى لم تكن من مثل البنات اللاتى يجعلن من الحب الأول مـرضا يعشن به طوال حيـاتهن ، أو من البنات اللاتى يهوين ذرف الدموع على مـا فات ، فهى من النوع القائل : "إذا لا يوجد الآن فليكن فـيما بعد وإلا فليكن بعد ذلك" . . . وحدث أن ولد فى بيت الأخت الكبرى طفل ثم توفى على الأثر ، وذهبت سـعدية إلى أختـهـا فى كراتشى ، وهنـاك مال قلبها إلى ابن عمها "برويز" ، وكان برويز شـابا عاطفيا حساسا، فى

طبيعته شيء قليل من الجنون ، وكان إذا رأى سعدية الشقية المرحة تنظر إليه حاول التفانى فى استمالتها؛ فعمد إلى التعريج على بيت أختها كل يوم ، واستمر فى محاولته .. كان والده من الأثرياء الكبار، ومع هذا فقد كان يتصرف تجاه سعدية كخادم مسكين ليدخل السرور إلى قلبها بينما كانت سعدية تمطره بعبارات المزاح والدعابة الممزوجة أحيانا بالطنز وأحيانا بالسخرية : " إيه يا برويز لماذا تتأخر هنا كثيرا ؟ يا "دلوعة البيت" اذهب هيا سيضربك أبوك "ويظل برويز المسكين جالسا يفور من الغيظ وعيناه تقدح بالشرر.. أحيانا يثور ويقول :

"والله .. انظرى يا أختاه – موجها حديثه إلى الأخت الكبرى – كيف تسخر منى سعدية ، على كل حال أدعو الله أن يعطينى الثروة والمال، وأن أكون مدللا حتى يمكن لسعدية أن تسخر منى حقا" .

وتقاطعه سعدية : "لا لا لماذا أحور الكلام روح .. اجلس فى حضن أمك وأبيك ، من هنا يهتم بمثل هؤلاء الناس ؟"

وتحفزت سعدية كقطة شرسة فأصابت برويز بإحساس ساوره كأنها تقول له أمثالك كثيرون ، ولكنها فى الوقت نفسه غيرت طريقتها وسقته من عينيها كأس المحبة ... وكانت هكذا دائما .. مرة تمنحه نظرة من عينيها ،ومرة تناوله منديلا أو "أزرار" قميص ومرة أخرى تعد له بيدها فنجان شاى ساخن وتقدم له بعض الرقائق المقلية .. وذات يوم وضع برويز فى إصبع سعدية خاتما من الفضة ، وضعه فى

إصبعها وهو غارق فى مشاعر عاطفـية جياشة ، وقبلت سعدية الخاتم وهى تظهر له تدللا شديدا ، فوعدها برويز قائلا إنه سيحطم حواجز الثروة وسيعلن العـصيان وسيجبر والديه على قـبول زواجه منها . . لم تدر الأخت الكبرى شيئا مما كان يدور ، أما سعدية فقد عادت إلى لاهور بعد أن قضت شهرين في سعادة وهناء .

أخذت ناصرة بيـغم الفتاتين فى زيارة لقريتـها ، كانت هذه أول مرة تشاهد فيها سعدية وشاذية حـياة الريف، قضت الأختان وقتا ممتعا وتأثرت جمـيع بنات القريـة بهاتين الفتـاتين القادمـتين من المدينة وفى القـرية نفسـها كـان لسجـاد حسين أحـد ملاك الأراضى أربعـة أولاد أصغرهم أنهى دراسة الماجستير فى الأدب الإنجليزى، وكانت أمنيته أن يتزوج من فتاة متعلمة من المدينـة ، وكانت سعدية فطنة للأمر فبدأت تضع يدها على أخـت شاهد الكـبرى ، راحت تـتقـرب منهـا حـينا وتظهر لها الخجل حينـا آخـر ، وتقـدم لها "بلوفر" أو بعض أعمال "الكروشيه" ، أمـا صفية فلم تكن بقـادرة على البقاء بعيـدا عن تأثير سعدية . . وفى البيت ذاع صيت سعـدية وراح الكل يمتدحها ويتحدث عن صفاتها الطيبة ، وكـانت هى بطريقة أو بأخرى تظهر على شاهد وفى النهاية أعلنت خطوبة سـعدية وشاهد وأرسلت برقية إلى أخـيها وبدأت سعـدية تشعر بإحـساس النصر فـرحة مسـرورة، بينما راحت نـاصـره بيغم تعـاكس شاذيـة وتثيرهـا وتستحثهـا فى الـوقت نفسـه : "انظرى ها هى سعدية سـتذهب إلى"بيت عدلها" حيث سـتعيش فى سعادة وراحة ورغد العـيش وأنت أنت لن يسأل عنك أحد ولن ينظر أحد فى وجهك" .

كنت أفور من داخلى ، أبكى بدل الدموع دما ، وقمت بالامتناع عن أعمال البيت احتجاجا ، وأغلقت على نفسى الغرفة وبقيت ليل نهار قابعة فى سريرى أضع رأسى بين كفى كالمجانين أو أغرق نفسى فى قراءة الكتب ، فى تلك الفترة اهتمت بى سعدية كثيرا . . . كانت تقوم بإحضار الطعام إلى غرفتى ، تغسل ملابسى، إلا أنها لم تكن تجبر بخاطرى أو تواسينى بكلمة واحدة ، ولم تكن تعيرنى أى انتباه ، كنت أود من صميم قلبى أن تحدثنى وتواسينى، ولكنها كانت تمضى إلى حال سبيلها ليل نهار هاشة باشة ضاحكة تترنم بألحان أغنية أو تدندن بكلماتها . . وفى اليوم الثالث أو الرابع حضر خطيبها إلى البيت أيضا فأعدت سعدية ما لذ وطاب من ألوان الطعام ، لم تخلع سعدية خاتم برويز الذى أهداه إليها قبلا، وحين عرف برويز ذلك حضر وعلت وجهه أمارات الحزن حتى كاد أن يبكى ولكن سعدية وبدون خجل راحت تسمعه كلاما مهينا : "أمك هذه لم تجبر بخاطرها وتأتى لترينا وجهها ولو مرة واحدة وحتى لو كانت رضيت بزواجنا إلا أنها ستظل كما هى، إنكم تخيفوننا بثروتكم وغناكم أما هؤلاء الناس الذين ارتبطت أنا بهم فهم من القرية وأنا قادرة على أن أخيفهم دائما" . . وبرويز المسكين لا يدرى جوابا فيصمت . . .

فى تلك الأيام تم زواجى على شاب فقير أمى لم يذهب إلى مدرسة ولا حتى إلى كُتّاب ، وبعد زواجى بسنة تزوجت سعدية من شاهد وكان الذهاب إلى القرية للزفاف، وبعد أسبوع استأجر زوجها بيتا فى حى راق بلاهور وبدأت سعدية تعيش حياة هانئة سعيدة

تحـررت خلالهـا من كل تفكيـر أو هم ، كان أهل زوجـها قـد بدأوا يخشونهـا فعلا ، وبدأ زوجها يلبى كل طلباتهـا، وبدأت النقود تطير من يدها هنا وهناك .

كانت سعدية فى البداية صاحـبة مزاج ، كانت مغرمة بكل شيء ومولعة بكل ما ترى ، والآن وجـدت متنفسا لتحقيق رغـباتها؛ فالمال وافر والزوج مـطيع فأظهـرت ما كان بداخـلها من رغـبات، وراحت تعـيش حياة تحـقق فيـها كل مـا تصبـو إليه : الملابـس . . أحدث الموديلات ، الذهب والمجوهرات ، وكـل ما يمكن أن تفكر فيـه امرأة من مباهج الحيـاة . . كانت سعدية كما هى دائما لا مبـالية ، معتدة بنفسـها ، سلمت البـيت كله للخدم ، بعـد سنة وهبهـا الله طفلا ، والآن ثبتت أقدامها في بيتها وبين أسرة زوجها . . أما أنا فكنت أشعر أمامها بالإحساس بالنقص ، فلم يرزقنى الله الولد ، ولم يهبنى الثراء الذى تتمتع به سعدية، وكنت دائما أذهب إليها وأنا مغلوبة على أمرى كالمستضعفة، وسعـدية كانت على قدر كبير من الذكاء والدهاء أيضا؛ فقد كانت تقـوم على خدمة زوجها بنفسـها وتظهر له حبها وتسـتميله بدلالها، ولكنها كانت إذا مـا رأتنى أخدم زوجى بنفس أسلوبها توجه الحديث إلى زوجـها قائلة : "انظر كـيف تعمل كالخـادمات ، إنه لا يعيرها أى اهتمام وهذه المسكينة فى سبيلها إلى الموت ، آه لو كنت فى مكانهـا لطلقتـه بالثلاث وانفـصلت عن مثل هذا الزوج !" وشـاهد المسكين شاب قروى بسيط كان يسمع هذه الانتقادات فيصاب بالذعر . . . والحقـيقة أن سعـدية أصبحت سـيدة طيبـة من داخلها تحب كل من

حولهـا إلا أن نقطة الضعف الوحـيدة عندها كانت مـحاولتهـا إثبات مكانتها فى أى مكان حلت به وهى تريد أن تعلن للجـميع أنها تنتمى إلى أسـرة ثرية ، وربما لهـذا السبب وفـقت فى حـيـاتها حـتى الآن وعـاشت ثرية؛ فـالناس دائمـا ومنذ صـغرها كـانوا يأخـذون بيـدها ويساعدونها وبعد الزواج عاشت حـياة ناعمة، وهذا لا يحدث مع كل فتاة فى مجتـمعنا، فأنا نفسى أختها ومضـيت فى حياتى على الصراط المستقيم ، فنجاحاتها أوجدت بداخلها الإحساس بالعظمة .

بدأت مراسم زواج أخى، ورغم أن سعدية هى الصغرى بيننا إلا أنها كـانت دائما فى المقدمـة ، الأخت الكبرى وأنا، كنا من الناحـية المالية فـقراء لهذا كـان نجم سعدية يعلو فى الأسـرة ، المجوهرات يتم شراؤها بمشـورة سعـدية ، الملابس تحاك طبـقا لرأى سـعدية ، وكل شيء يتم بناء على رغـبة سـعدية، وناصرة بـيغم أيضا وضـعت على الرف لم يعد أحد يهتم بهـا والمسكينة تلقى علينا نحن الأختين الأكبر بسهام سخريتها فتقول :

"إيه . . شاذية ! أسـمعت ؟ سـعدية اشتـرت للأخ هداياه التى سيقدمها لعروسه ، أوه ! اشترت طقما ذهبيا رائعا . . هل رأيته ؟"

"لا يا أماه . . لا علم لى بهـذا الأمر" أجيب عليـها وأنا أبكى من داخلى .

"آه من يسأل عن أمثـالك أو عن أمثالى - حسنا فأنا مـهما كنت زوجة أب لا أكثـر ولا أقل ، لكن أنت ونادية الأختان الأكبـر وأنتما شقيقتان" .

وكانت ناصرة بيغم فى الظاهر تبدى تعاطفا معنا فتوجه أسئلة ونحن الأختين تصيبنا سهام الجراح، وكانت تحاول أن تبدى ابتسامات كاذبة وضحكات جوفاء وهى تنظر إلى وجهينا .

وأخيرا وبصعوبة كان يوم زواج أخى؛ فزواج الأخوة مثل زواج الأخوات كان أعظم أمنية .. فى يوم الفرح ذهبنا ونحن نتظاهر بالمماطلة، وكانت زفة العروس إلى مدينة أخرى حيث عقد القران وكانت السيارة التى تحملنا قد تخلفت عن ركب المدعويين أما سعدية فجلست مع العروس وعريسها فى سيارة المقدمة ونزلت فى بيتهما لتتولى تسلم "النقوط" والإشراف على ترتيب إتمام مراسم احتفالات الزواج وابتداء من إعداد الحلوى حتى مراسم غسل أقدام العروس كانت سعدية فى المقدمة ... وحين وصلت مع الأخت الكبرى كان العريس وعروسه فى حجرتهما بينما كان بقية المدعوين نظرا للتعب والإرهاق يستعدون للنوم ، فنظرت إلى الأخت الكبرى نظرة حملت لها كل معانى المسكنة والمذلة فما كان منها إلا أن خفضت رأسها وكأنها تقول لا حول ولا قوة لنا بما يدور هنا .. أما سعدية فبالإضافة إلى سيطرتها التامة على زوجها فقد وضعت الأخ تحت إمرة محبتها حتى إنه كان إذا ما اشترى طعاما أو فاكهة أودعها يد سعدية بدلا من أن يعطيها إلى عروسه، وكانت العروس تلوى شفتيها وتنقمص كمهرة غاضبة ولا أكثر من ذلك، وعدنا كل إلى بيته بعد انتهاء احتفالات الزواج المعهودة أما سعدية فكانت قد ثبتت أقدامها فى بيت الوالد وبعد أشهر انتقل شاهد إلى بيت آخر .

أنجبت زوجة أخى طفلة انتقلت إلى رحـمة الله بعد ولادتها بأيام وقالت سعدية على الفور : "سـوف يكون لها سبع بنات سوف يكثر عدد بنات أخى. . " التـحدث بمثل هذا الكلام غيـر المناسب كان من فطرة سعـدية، ويعلم الله متى يخـرج مثل هذا الكلام من فمـها . . لقد وهبـها الله خـمس بنات . . توطدت العلاقـة بين الأخ والأخت الآن ، فزاهد أكمل تعليمه وبدأ فى ممارسة أعمال تجارية عادية، وراح بعـدها يتـوسع ويتـوسع حتى صـارت أعـمـاله على نطاق واسع ، وسعدية كان زوجها أستاذا بالجامعة، وكان يمتلك بدوره أربع قطع من الأرض تقارب المائة فدان، والأسرتان الآن تذهـبان لمعاينة قطعة أرض، والآن يعـد برنامج لزيارة منطقة مـرى الجليدية حـيث تقضـى إجازة الصـيف . . وهكذا توطدت العلاقـة . . ومـرة كنت أجلس فى بيت سعدية وجاء أخى زاهد مع زوجه ووجه حـديثه لسعدية : " هيا هيا ياسـعدية قومـى لنذهب إلى "حى الورود" ، سوف نتناول الطـعام هناك أيضا " ، وتشعـر سعدية بقليل من الخجل لعلـه خجل مصطنع ثم يصيبنى أنا الخـجل الأكبر فأنهض من فورى : "سـعدية . . لقد تأخرت ، سـوف أرجع إلى بيتي" وتقول سـعدية : "اجلسى . . " ، وتمضى سـعدية فـى أداء دورها على أكمل وجـه، ولكنى أخـرج من فورى . . آه كـيف لى أن أعبـر صحـراء هذا الإيذاء وحدى ؟! إن الأنقاض بداخلى يمكن أن تخـبرنى بأننى صرت حطاما وتبـعثرت هنا وهناك ، ورغم أن سبل الرفـاهية وراحة البال قد تيـسرت تماما إلا أن سعدية قـد أصابها الكفر بالنعمة، فـهى لا تشكر الله أبدا على ما هى فيه ولا تؤدى حقه. .

"أخى . . إن أهل هذه القرية قد أصيبوا بالبكم ، لقد نسوا إكرامى لهم . . . انظر إلى الواحد منهم تراه إذا ما كان عنده عمل فى المدينة وضع "التلفيحة" على كتفيه ، وحمل حقيبته ومضى متبخترا يدق الأرض من تحته. . . أختى شاذية ! أنت محظوظة ليس لك حماة أقصد أخت لزوجك . . بالنسبة لى أخوات الزوج بالثلاثة . . . واحدة ترملت وأخرى تمسك دائما بتلابيبى وثالثة تركب فوق رأسى لا تتركنى لستة أشهر ثم العم ووالد العم والأطفال وما أدراك ما الأطفال . . . أوه ! " .

عرفت سعدية أن "معظم" أخذ أولاده وذهب إلى السعودية . . فماذا تراها تفعل ؟ إنها تحاول أن تجد طريقا للسفر إلى الخارج ، وشاهد متقلب المزاج ، يتضايق سريعا ، لا يريد أن يفارق أخوته وأخواته أو والديه، ولكن لما كان الأمر أمر سعدية ، وذلك بذكائها ودهائها ، لذا أوصلته إلى زاهد فاستفسر من معظم عن كل التفاصيل . . . وأعد العدة . . وانطلقت سعدية بزوجها وأولادها إلى السعودية . . . وبعد سنتين جاءت فى إجازة . . زادت معلوماتها زيادة ملحوظة فهى الآن تتحدث عن السفن والطائرات وعن المضيفات وتقدح فى حقهن بكلام كثير ثم تحاول تقليدهن . . . وراحت سعدية تتحدث خليطا عجيبا من الإنجليزية والعربية ، وأهل القرية البسطاء يستمعون إليها وهم صامتون ، فقد وزعت عليهم الهدايا وأعطتهم الهبات ، إلا أن "شاهدا" صار كغصن ذبل وذوى . . . وأظهر الجميع علامات الحيرة الممزوجة بالتعجب ، ولكن سعدية كانت منغمسة فى ثروتها ومباهجها لا تشعر بشىء مما يدور حولها .

لاحظ زاهد الأمر لأنه كان الأقرب إلى سعـدية ، فسعدية كانت بالنسبة له الأخت المفضلة دائما ، فاستشار الأطباء فشخصوا المرض . . . سرطان ! سمع زاهد ما قاله الأطبـاء وعرف الجميع الأمر ، وظهرت آراء هنا وهناك لكن أحـدا لم يتمنَ أن يحدث مـا حدث . . . بدأت مرحلة العـلاج وأرسل شاهد إلى خارج البلاد . . . وأنفـقت الأموال الطائلة ، لكن إرادة الله حـلت فى عبـده المريض فـانتقل إلى الرفـيق الأعلى . . وترملت سـعـدية في عـز شـبابهـا . . لديهـا من الأولاد نصف "دستـة" ، وتحولت لياليهـا الفضية إلى ظلمـة حالكة ، إلا أن جبل الحـزن هذا لم يجعل سعـدية تنحنى، وظل دماغـها وسط هذه الظروف يعمل بنفس الطريقة التى كان يعـمل بها قبلا . .وقد حدث أن حجـزت سيارة من السـعودية، وكان عليهـا أن تدفع "جمركـها" البالغ ٣٥ ألف روبية تقريبا ، فطلبت سعدية من الأخ الأكبر لزوجها أن يدفع "الجمرك" فـفعل، وبعدها قالت سعـدية وهى تتمايل وتلوى لسانهـا بالكلمات : "أتظنينى أرد هذا المبلـغ لهم ؟! هيه . . هؤلاء الناس أكلوا جمـيع محصـول أرضنا كلهـا ، فلو "دست" على هـذا المبلغ فلا بأس !"

وغرقت فى عالم من الحيرة وأنا أتأمل وجـهها ، إن أهل زوجها أثبتوا حقيقة أنهم أناس طيـبون ، لقد رعوها كل رعاية واهتموا بكل طلباتهـا، ولكن سعدية التى كانت أحـيانا تتملقهم فى وجـود شاهد كشفت الآن بكل وضوح عن وجهها الكالح؛ فإذا جاءت أخت زوجها الأرمل وجـدت من ابنهـا كل إهانة فـتعـود المسكينة أدراجـهـا باكيـة مكسورة الخاطر . . تذهب إلى الأخت الكبرى تشكو لها :

"أختاه أنت تسكنين فى بيت سعدية أنت تضربين بالحذاء لكن ما ذنبى أنا يُساء إلىّ من أطفال صغار ؟! "

ولم تعد صفية تأتى ثانية إلى بيت سعدية ، وكان هذا ما تريده سعدية ، كانت إذا ما جاءت زوجة الأخ الأكبر تقوم بالإساءة إلى أخوات الزوج، وإذا ما جاءت أخوات الزوج تقوم باغتياب زوجة الأخ الأصغر ، وإذا ما جاءت جارة لها أسمعتها حكاية عن جارة أخرى ، وأشعلت نيران الفتن فى بيوت كثيرة وتسببت فى عراك العديد من الناس، ومع هذا فالله وحده يعلم أى سحر كانت تمتلكه سعدية؛ فقد كانت لها القدرة على تسوية الأمور وحسمها طبقا لما تريد ويروح الناس يزورونها ويلتقون بها من جديد .

كانت حرارة الشباب تلهبها فتتحدث بكلام يجعلنى وأختى الكبرى ننظر إلى بعضنا ونسكت . . . ومن هذا أن الأخ الأصغر للزوج اعتاد أن يأتى من القرية مرتين كل شهر؛ فكانت سعدية تقوم عمدا بالاقتراب منه والاحتكاك به ، ويبدو هذا فى الظاهر لا عيب فيه إلا أن سلوكها على كل حال كان يعطى هذا الإحساس . . . لكن الرجل متزوج وصاحب أولاد وأكثر من هذا رجل شريف فهو يرعى زوجة أخيه من حيث كونها أم . . أم للأولاد . . لأولاد أخيه ، لكن بداخل كل إنسان شيطانه أيضا، ومن هنا إذا ما وجد فرصة أسقط الإنسان من رفعته وعظمته إلى الحضيض . . كان دلال سعدية الأنثوى يجعل وجه إلياس يحمر ويصفر ويخضر ، لكنه كان يتمالك

نفسه ، وفى النهاية أقلع عن المجيء إلى لاهور ، وإذا ما حدث وجاء لظرف ما، كانت سعدية تتصرف بطريقة طبيعية.

بعد الإقامة فى "جهلم" كانت تخرج من القرية أحيانا ، كان الأولاد صغارا، وهنا أيضا أكملت العدة بعد موت زوجها ، إلا أن سعدية صارت مصابة بمرض نفسى، كان "معظم" قد عاد من السعودية ، فاصطحب أسرته وجاء إلى بيت سعدية ، فتبادلت معه أيضا بعض الجمل من تلك التى تحمل مغزى ما ، كانت أى امرأة تتزين بالذهب والمجوهرات تجعل سعدية تستاء منها بل تشعر نحوها بالضيق والغضب ويتكدر خاطرها ، وحدث أن ذهبت لتحضر حفل زواج أقارب حماتها، وهناك وجدت نساء أخوة زوجها، كن قد وضعن زينتهن من الذهب ، وكان هذا أمرا عاديا فى هذه المناسبة ، لكن سعدية كانت تجلس هنا تارة وتقعد هناك تارة أخرى لا يقر لها قرار وتظهر ما يتفتق عنه قلبها من مرارة : "كل شيء أعد من أجل كيدى ، أتظنوننى لا أعرف أن" صُغرى "زوجة أخ زوجى ليس لديها أدنى اهتمام بالتزين بالذهب . . "، ويحاول الجميع إفهامها لكن سعدية هى سعدية . . كيف تقلع عن حيلها ؟! ذات يوم وصل الأمر مداه . . . كان ذلك يوم عيد ، والجميع أعد عدته لمثل هذا اليوم ، وبنات سعدية كبرن وبلغن سن النضج ، ولبسن أيضا الأساور والخواتم والأقراط ، وفجأة نظرت سعدية إليهن واغرورقت عيناها بالدموع : " حين يضع أى شخص الأساور فى يديه فإننى أشعر بالنار تسرى فى جسدى "، وحاولت أختها الكبرى أن تفهمها : "أجننت

أنت . . ! إنهن بناتك ، قطعة منك ، فلذات كبدك ، كيف تفكرين بهذه الطريقة وفى المستقبل ستأتى إلى بيتك زوجة ابنك ولن تتحمل كل هذه الأمور" ؛ فردت سعدية : "على حذائى ! لا تهمنى هذه، فهذا بيتى وهذه؛ أرضى وكل شيء هنا ملكى" ، وتخرج من فمها هذه الكلمات والعبارات غير اللائقة على الإطلاق ويصاب الجميع بالصدمة ، لقد احترمها الجميع كثيرا وتحملوها مقدرين ظروفها ، وأنا نفسى لم أكن أذهب إلى بيتها وفى يدى أساور أو فى أذنى قرط أو فى إصبعى خاتم أو أى شيء من هذا القبيل، ولم أكن حتى أضع أى مساحيق تجميل على وجهى ، لكن سعدية لم تكن تتراجع عن حركاتها تلك ، كان لها ابن وفق الله طريقه وأصبح مهندسا ، وبناتها ما شاء الله تزوجن جميعا . . . لكن سعدية تناست علاقة المحبة التى ربطتها يوما ما بأخوتها وأخواتها، وأشربت بناتها وابنها مشاعر الكراهية تجاه الأخوال والأعمام، وكأن أحدا من أفراد الأسرة لم يرعها يوما من الأيام . . وهكذا صار لسان الابن لا ينطق إلا بالشتائم ولا يلفظ إلا بالسباب أما البنات فقد تفوقن على الجميع بجاحة وسفالة، وكانت النتيجة أن فقدت سعدية احترامها أمام الجميع . . ولم تفق سعدية مما هى فيه رغم كل هذا ، وراحت تطرب بأولادها وأموالها .

وجاء يوم الفرح والسرور الذى تنتظره كل أم ، اختارت سعدية عروسا كالقمر لابنها أضاءت بها البيت ، واشترك الجميع فى الأفراح والاحتفالات بكل ما لديهم ، وتم الزواج على خير بعون الله، لكن

كيف لسعدية أن تغير عاداتها . . لقد استمرت توجه النقد لزوجة ابنها : "يا أختى إن إغلاق باب الحجرة والنوم حتى العاشرة يتعارض مع تقاليدنا وقيمنا . . انهضى فى الصباح الباكر . . "، وتريد سعدية أن تفرض على العروس كل شيء : "ياه . . يا عروسة ما هذا اللون الذى تختارينه . . أوه هذه الأساور الفضية . . هذا لا يناسبك ضعى فى يدك هذه الأسورة ، أرى أنها تناسب هذا الرداء الأحمر ، ولا بأس من هذا العقد الرائع حول رقبتك . . " .

كانت سعدية تبدى رأيها فى كل صغيرة وكبيرة بينما العروس التى لم يمض على عرسها إلا أسابيع قليلة تغلى من داخلها لكنها كانت تتحامل على نفسها وتصمت : . . . . برنامج الذهاب إلى منطقة كاغان الجميلة أعد من أجل قضاء شهر العسل إلا أن سعدية تقحم نفسها فى الأمر وتثير سفسطة وجدلا لا طائل منه . . .

"لا . . لا . . الطريق خطير ، لقد ذهبت هناك لا . . لا . . اذهبوا إلى لندن لا ضرورة للذهاب إلى هناك" .

وصرفت العروس النظر عن برنامج الذهاب إلى كاغان . . . وبمرور الوقت خرجت العروس عن صمتها وحدث ما كنا نخشاه جميعا، وذات يوم واجه الابن أمه وأسمعها قرارا صريحا جريئا :

"يا أماه ! عليك أن تذهبى وتعيشى فى القرية مع عمى الأكبر واتركينا نعيش حياتنا" .

وتلخبط دماغ سعدية على الفور :

"إى والله .. إى والله سأذهب !! كنت أعرف كل شىء ، أعرفك أيها الخبيث ، الناس يتغيرون فى سنوات، ولكنك لم تنتظر حتى يتغير لون الحنة فى يد عروسك .. آه لقد أخذتك فى حضنها ولفتك بين يديها ، جعلتك خاتما فى إصبعها ، وأنا حملتك فى بطنى وجوعت البنات لأنفق عليك ، أنفقت على تعليمك عشرات الآلاف من الروبيات، وأخيرا تعاملنى بهذا الشكل ، وتكون هذه هى نهاية تعبى وشقائى فيك ؟!"

"نعم نعم صحيح لم تحسنى لى لقد قمت بواجبك؛ فالآباء كلهم يفعلون نفس ما فعلت" هكذا رد الابن ردا عنيدا يتناسب مع ما سمعه.

وجاءت سعدية إلى بيتى وهى تبكى كسيفة البال مهيضة الجناح ، وتحيرت يا إلهى ! إنها القدرة الإلهية .. هل هذه هى سعدية التى لم تكن تهتم بأحسن الناس التى أبكتنى بدلا من الدموع دما، والتى راحت تشتم ابنها بلهجة المدح : "الكلام صريح واضح قاله دون أدنى تردد" سعدية اليوم تنتحب ، تسكب الدموع وأنا أحاول أن أسكتها .. وجاء على خاطرى مرة ذكرى اليوم التى مصت فيه سعدية شفتيها أمامى وهى تقول : "زوجك .. وجهه مشرق الدم يتفجر منه، إنك واهمة، إنه بصحة جيدة لا مرض به عمره سيطول ويطول ؟"وكأن حياة زوجى سبب تعاستها وبؤسها ، ولأننى أعرف أنها تعانى من

مرض نفسى سكت ، لم أرد على عبـارتها إلا بالصمت . . . واليوم تحيرت من هذا التـغير الذى أحدثتـه القدرة الإلهية ، فـأحوالى المالية بحـمد الله أطيـب وسعـدية تأتى لاجـئة إليّ ، لأن زوجـة أخى لم تتحـملها، لكن الصدمة قـد أصابت سعدية فى مـقتل؛ فبعـد حوالى شهرين تقريبا اختل توازنها العقـلى وعالجتها بكل ما أستطيع إلا أنها لم تفق مما كانت فيه واضطررت إلى إدخالها إحـدى المستشفيات حيث كانت دائما تضع فى يديها الأساور تـارة وتخلعها تارة أخرى ثم تبدأ أحيـانا فى بكاء طويل أو تذهب إلى المرضى الآخرين، وتقـول : "هيا نركب الطائرة، هيا نتسوق فى حى شادمان . . . لا لا . . . هيا نأكل الأيس كريم أولا ثم نذهب للتسوق فيما بعد" .

أما الابن وزوجتـه فقد نسيا كل شىء لـم يذكراها بشىء، وجاء دور الأخوات والأخوة . . يذهبون أحيانا للقـائها يهتمون بها، وحين تأتى بناتها من الخارج يذهبن لرؤيتها . . . مسكينة سعدية !!

تمـت

ثمن الحرية

عقيلة كاظمي

كان الخطاب مفتوحا أمام "نيـاز أحمد" ، وكانت حروف كلماته قد بدت أمام عينيـه وسط الدموع المتساقطة كأنها تـسبح وسط ضباب كثيف . . . سقطت الدموع على بعض الكلمات فمحتها ، وكأن هذه الكلمات قد كتبت بالحبـر . . جملة واحدة فقط ظلت تتردد فى ذهنه مرة بعد مرة كأنها مطرقة : "استشهد جميع أفراد أسرتنا" . .

طأطأ نياز أحمد رأسه . . كم طوى من منازل السفر ؟! وإلى أى منها انطلق ؟! ما بين مكان سحيق شديد الانحدار وآخر مليء بالأودية الفسيـحة التى تطاول من علي البعد أفق السمـاوات . . . كان إذا ما وقف فى سفح هذه الأودية تراءى له قصر من السحب بنى فوق قمم الجبال . . وكان حين يصـل إلى قمة الجبل يطير فجـأة قصر السحب إلى أعلى ويصير معلقا فى الســماء . . هل كان ذلك سراب فى سرابًا ؟ هل كان ذلك خداع فى خداعًا ؟ . .

تذكـر حديث الماضى وكـأنه سمـعه منذ لحظات قليلة حـين كان رضوان أحمد ونياز أحمـد يجريان . . يقفزان فى أودية "سرينكر" كان بين الأخوين حب كـحب العاشقين ، لم يكن أحدهمـا يتحمل

فراق الآخر ولو لحظة واحدة، وكان الفرق بينهما فى العمر لا يتعدى سنة ونصف، ولهذا بدا للناظر أنهما ولدا فى يوم واحد.

كانت لهما مكانتهما فى الأسرة بل كان لهما حق النقض داخل الأسرة، وكأنهما دولة عظمى فى الأمم المتحدة ، فكانت الكلمة التى تصدر عنهما هى الكلمة القاطعة النقاش بعدها .. ولم يصلا إلى مكانتهما تلك عبثا بل قدما فى سبيلها العديد من التضحيات .. وضعا كفنهما على كتفهما منذ أن كانا فى الثالثة عشرة وعاشا حياة كلها رجولة وشهامة ..

فى منطقة "نوربور" فى عموم كشمير آلت حقول الزعفران كلها لأسرتهما ، وفى حقول الزعفران تلك كانت حياتهم بكل مسراتها ومباهجها، لكن والديهما استطاعا فقط أن يشاهدا بعيونهم فرحة ربيع ثلاث سنوات فقط ثم راحا يرويان بقطرات دموعهم حقول الزعفران .. وكرسا حياتهما لتربية ولديهما .. فزوجاهما وأقاما حفلا لعرسهما ظلت الناس فى الوادى تذكره لفترة طويلة ..

كان زواج رضوان أحمد من داخل الأسرة، أما نياز أحمد فقد تزوج من "ريشمان" ، وذابت صلابة الوالدين كما يذوب الجليد تحت أشعة الشمس ، وذلك من أجل سعادة الابن ، فقد كان نياز أحمد معجبا بريشمان .. كان شعر ريشمان الأسود ينساب خلفها فتبدو كأغصان شجرة السنديان تنساب على عودها .. ووجنتاها كانت تضيء كشعلة من أزهار الجنار المتوهجة، أما عيناها الواسعتان فكانتا

فى طرفهـا حور . . وفيـهما عـمق يحوى جمـيع أسرار الكون . . وهكذا الحسن فى كشمير ، لكن حسن ريشـمان كان شيئا آخر فاق كل حد . . وهكـذا أراد نياز أحمـد أن يخفى دائمـا ريشمـان عن أنظار الدنيا على الدوام ، وهذا هو السبب الذى جـعله يفرض على جميع أفراد عائلة ريشمان الالتزام بالحجاب الشرعى كاملا .

بعد أن أكمل رضوان أحمد دراسته وحصل على شهادة الليسانس تولى أمر حـقول الزعفران، أمـا نياز أحمـد فقد حصل على شـهادة المحامـاة. . وولد لرضوان أحمـد الذى تزوج من داخل الأسرة ثلاثة أولاد كبروا . . أما نياز أحمد فقد ظل لأربع سنوات أو خمس بدون أولاد مما أثار قلق والديه، وكانت أمه تقول بكلمات خفية :

"لقد نال نياز أحمد جزاء عصيانه" .

لكن نياز أحمد كان نفسه سعيدا بحياته مع ريشمان . .

فى الرابع من أغـسطس ١٩٧٤م طلعت شـمس الحـرية . . وفى نفس اليوم نزلت رحمة الله على نياز أحمد فرزق بطفلة . . وخرجت من فم الأخوين جملتين متضادتين :

- الحمد والشكر لله؛ فقد نال المسلمـون حريتهم، وبهذه المناسبة سوف أسمى ابنتى "آزادى"أى حـرية. . قال نياز أحمـد هذه العبارة بكل سرور .

- "وأخـيـرا تم الـتـقـسـيم . . " ، و كـان هذا رأى رضـوان

أحـمـد، وصار الأخوان اللذان كان يضرب بحبـهما المثل فريسة لموقفين متضادين . . كان نياز أحمد يعاند :

- "لنذهب إلى باكستان ففيها العافية" .

لكن رضوان أحمد كان يقول :

"سوف نبـقى فى هذه الأرض، ونعيش على هـذا التراب الذى ولدنا فيه" .

كـان نياز أحـمد يدافع عن نظريتـه بأسلوب المحـامين مسـتعـينا بالدلائل الدامغة . . إلا أن أى دليل مهـما كان لم يستطع أن يزحزح رضوان أحمد عن عناده قيد أنملة . .

فى تلك الأيام شـاهدا معـا حرب سنة ١٩٤٨م، إلا أن مـوقف رضوان أحمـد لم يطرأ عليه أى تغيير يذكـر، وبقلب حزين ترك نياز أحمد نصيـبه من حقل الزعفران لأخيه وهاجر إلى باكـستان . . كان فراق الأخوين صـعبا على قلب كل منهمـا، ومع هذا ودع كل منهما أخاه وهو يبتسم . . .

قدم نياز أحـمد إلى باكستـان وعمل بالمحاماة وذاع صيـته وصار عضوا فى "البـرلمان" ووصل حتى إلى منصب وزارى . . ووهبه الله بعد ابنتـه "حرية" خمس بنات . . وكـان راضيا بما قسـمه الله له ، بينما كانت ريشمان تشعر أحـيانا بالندم، إلا أن نياز أحمد كان يقول لها دائما :

- "هذا رزق من عند الله . . هذه رحمة الله ، ويجب ألا نكفر بنعمه . . هؤلاء البنات بالنسبة لى أعظم من أى ولد" .

وقد كافأ رب العزة نياز أحمد على صبره وشكره فصارت بناته شموسا وأقمارا : ثلاث منهن صرن طبيبات مشهورات، واثنتان الآن من أساتذة الجامعة، والخامسة صارت مهندسة، ووهبهن الله فى الختام أخا . . سبحان الله .

وهناك . . ولد لرضوان أحمد خمسة أولاد، وراح يدعو الله أن يرزقه ببنت . . إلا أنها مشيئة الله . . استمرت المراسلات بين الأخوين . . وحين كانت الظروف تتحسن بين البلدين كانا يلتقيان، وإذا ما اضطربت الأحوال كانا يقومان بالمراسلة عن طريق لندن وأمريكا.

وبناء على رغبة الأخ رضوان أحمد زوج نياز أحمد بناته الثلاث لأولاد أخيه . . مع أن أولاد رضوان أحمد لم ينالوا تعليما عاليا، لكن كانت هذه هى الطريقة الوحيدة لاستمرار المحبة وعلاقة القربى بين الأخوين . . لم تكن هناك قلة فى المال أو الثروة . . وتزوجت إرم وكنول ونيلم . . وذهبن ليعشن هناك فى كشمير جنة الله على أرضه.

كان نياز أحمد إذا حدث والتقى بأخيه يحاول جاهدا وفى كل مناسبة أن يقنعه بوجهة نظره :

- "الهنادكة لا يمكنهم التخلص مما فى عقولهم من تعصب . . وربما يحملونك ذات يوم على الندم والحسرة . . يا أخى الحمد لله على أنه لم يصبك أذى حتى اليوم . . تعال إلى باكستان . . " .

فيجيب رضوان من فوره :

- "إيه يا أخى ! ما هذا المزاح ؟ نحن فى كشمير ثمانون بالمائة من السكان ، والهنادكة يمثلون أقلية فى كشمير ، وهؤلاء المساكين يخشوننا دائما . . انظر السكر غير متوفر فى جميع أنحاء الهند، لكنه موجود بوفرة فى كشمير ، فالحكومة دائما تهتم كثيرا بالكشميريين . . . "

ويستخدم نياز أحمد طريقته فى المحاماة :

- "يا أخى إن ربيع الوطن الحر شيء آخر إنك مرفه الحال هناك بلا شك، لكنك تحت سيطرة الآخرين" .

وينتبه رضوان أحمد بل يفزع ويقول منفعلا :

- "اسمع يا أخى لا تجعلنى أطلق لسانى بالكلام . . ماذا فعلت لكم الحرية أو ماذا فعلتم أنتم للحفاظ على الحرية ؟! لقد انشطر البلد إلى شطرين . . ثم ماذا عن المعارك الدائرة بين حكامكم وزعمائكم . . لماذا لم تنته بعد هذه المعارك ؟! هل تذكر الجملة التاريخية التى قالها الكاهن الهندوكى : لن أغير ملابس الكهانة تلك حتى تتغير الوزارات فى باكستان . . يا أخى أمركم عجيب، وعلى قول المثل "يقرش

قوالب السكر ويـخاف أكل الكعك" ؛ فمن ناحـية كراهيـة للهند ومن ناحية أخرى شرائط الأفلام الهنديـة تعم كل باكستان وأصوات الأغانى الهندية يرن صـداها فى كل مكان . . بالأمس وفجـأة ذهبت إلى أحد محـلات "الفـيديو "وسـألت بكل شوق عن فـيلم باكسـتانى فـراح صاحب المحل يبحـلق فىّ من رأسى إلى أخمص قدمى ثم هز كتـفيه بطريقة كلهـا احتقـار قائلا : لا . . لا . . نحن لا نضع هنا أفـلاما باكستانية . . وخرجت فى حيرة من محل الفيديو . . ما هذه السياسة المتضاربة يا أخى سياسة بوجهين أليس كذلك ؟! "

وبعد أن سمع نيـاز أحمد خطبة أخيه تصبـب عرقا . . ربما كان عرق الندم، لكنه ظل يتغنى بوطنه الحالى . . باكستان . .

كان آخر لقاء بينهما منذ سنتين . . ذهب رضوان إلى لندن لبعض الأعمال بينمـا ذهب نياز لزيارة ابنته . . وبعدها لم يلتـقيا . . بدأت أخبـار الثورة تتـوالى من كشـميـر ، وتوالت أيضا أخـبار اسـتشـهاد الفدائيين . . وأثناء ذلك وصلت رسالة "نيلم" إلى أبيها . . .

والدى . . يا أعز من روحى . . .

هذا آخـر خطاب سـيـصلك منى ، لكنى قـبل أن أتناول كـأس الشهادة أود أن أخـبرك بالتفصـيل عن بلوغى هذه المرحلة . . مرحلة الشهـادة ، حتى يمكن للأجـيال القـادمة أن تقدر قـيمـة الحرية . . . فكشمـير اليوم تحترق . . من حـولنا عمارات تحتـرق ، وأنابيب المياه تنفـجر ، وأعـمدة الإنارة تتـساقط فى الشـوارع ، وأكوام من جـثث

المسلمين . . ورائحة الغازات السامـة التى لا يمكن أن تحتمل مع دخان الغازات المسـيلة للدموع التى تكوى الجـفون ،انتشـرت فى الجو . . . واحترقت حقول الزعفران ، وسممت مياه الآبار والجداول والبحيرات الجميلة، وأشـعلت النار فى أزهار الجنار ، أما ثمار التفـاح والكمثرى التى لم تنضج بعد فـقد ذبلت وكأنهـا رؤوس انحنت من الغم والهم داخل مأتم حزين . . .

والدى العزيز . .

يداى ترتعشان ، كلمـاتى وعباراتى غير مـترابطة، لكنى لابد أن أسمعك الحكاية . .

جارنا "لاله شنكر ديال" الذى كنا نناديه دائما بالعم، وكان حتى آخر لحظة يهـدئ من روع عمنا رضـوان بل كان بنفسـه يصب اللعنة على حكومته ويروح يلقى الخطب ضد ظلم الحكومة . . . إذا به ذات ليلة يقوم بإرشـاد العساكر الهنـادكة إلى مواقعنا ومـلاجئنا . . والعم رضوان الـذى كان دائمـا يتغنى بمحـاسن الحكومة الهندية، وكـان من أعظم المجاهدين فى حرب التحرير . . كان يمد المجاهدين بالأسلحة، وكان يقـدم لهم الملاذ أحيانا، وهكذا كان فى "بدروم" البـيت أسفل الطابق الأول قاعدة للفدائيين . .

كان "لاله شنكـر ديال" يشعر بهـذا الأمر، وذات يوم كـان أحد الأطفال الصغـار يلعب فاقترب من بـيته فراح يستـدرج الطفل ويسأله ويستـفسر منه . . وفـى الليل بدأ مهد حـريتنا يهتـز على وقع أحذية

العسكر الهنادكة . . قبضوا على العم رضوان وقاموا بقتله أمام أعيننا . . وانطلق المجاهدون المختبئون فهجموا على جنود الكفر وتمكنوا منهم جميعا . . إلا أن الظلمة تمكنوا من معرفة بيوت المجاهدين كلهم وأخذونا نحن الأخوات الثلاث إلى حيث كنا قد قضينا شهر العسل بعد الزواج . . ماذا أخبرك يا أبى عما ارتكبوه معنا . . أخذونا إلى حجرة مثل الصالة الكبيرة . . وظهر رجل مثل أولئك الذين يعملون فى مزادات الأسواق ، ظهر على ما يشبه خشبة مسرح وراح يدق جرسا ويقول :

"يا أبناء القنبلة الذرية ! اليوم هزمنا سرينكر . . اليوم فتحنا سرينكر . . واليوم أيضا هزمنا كشمير كلها . . وبهذه المناسبة السعيدة يعقد هذا المزاد . . مزاد ربما لم تروا مثله فى حياتكم . . انظروا الآن وأفرغوا ما فى جيوبكم . . ".

قال هذا وراح يدق الجرس بشدة ويشير إلى الناحية الغربية من خشبة المسرح وبناء على إشارة منه انفتح الباب الغربى وأحضروا طابورا من الفتيات الكشميريات المسلمات . . ثم بدأ النداء :

البنت بعشرة روبيات . . . . البنت بساعة يد . . البنت بعلبة سجائر فضية . .

وفجأة خرج جندى ينتمى إلى طائفة السيخ من وسط الزحام وصاح قائلا :

- "يا أصدقاء ! لا تعيدوا الآن هذه المسرحية الخطيرة مرة ثانية ، أتوسل إليكم باسم الإنسانية ، باسم التاريخ . . إن هذا المزاد لا يمكن أن يقام ، مزاد كشمير هذا لا بد أن ينتهى الآن كما انتهى مزاد جنكيزخان فى السابق ، ومثلما انتهى أيضا هولاكو، ومثلما انتهى الروم واليونان، ومثلما انتهى مزاد ١٩٤٧م سوف تعيش بنات كشمير . . وينتهى هذا المزاد " .

وجه الجنود الهنادكة أفواه بنادقهم ناحيته لكن الجندى السيخى استمر فى الحديث :

- "لقد قرأت تعاليم" كرنتهـ" فهو يقول : الإنسان الطيب لابد أن يحفظ للمرأة عزتها لأن المرأة أم وأخت وابنة . . المرأة هى عزة حضارتنا وثقافتنا" ، وقد قال هذا أيضا معلمنا كرو نانك . . " .

وبينما استمر الجندى السيخى فى كلامه انضم إليه بعض الناس ، إلا أن "جنرالا" أصلع الرأس خلع غطاء رأسه وأصدر حكمه ضد الجندى السيخى قائلا :

- "أحرقوه . . ألقوا به فى الخارج . . " .

لكن الشهامة كانت قد أخذت من الجندى السيخى مأخذا فلم يتراجع عن موقفه، وقال بلهجة كلها ثقة :

- "لن أتزحزح من هنا حتى توقفوا هذا المزاد . . إننى أتذكر تاريخى جيدا . . لم يمض خمسون عاما حين غرر بنا وخدعنا فأظهرنا

شجاعة زائفة سنة ١٩٤٧م ، فحطمنا بوحشية أزهار الزعفران . . لكن الخالق عاقبنا فنحن اليوم نخوض أيضا حرب حريتنا مثل الكشميريين، لكننا لم ننجح للآسف . . " .

وفجأة سمعت طلقات عيارات نارية فى الصالة وبدأ جسد الجندى السيخى العريض الطويل يرتعش وتم تقييده بالحبال وشدوا رقبته إلى ناحية، وراحوا يلفون حول جسده الحبال وهو يتلوى بينما ارتفعت أصوات قهقهات وحشية فى الصالة ، وبدأت بقع الدم تتساقط فوق خشبة المسرح إلى أن وصلت إلى بساط الصالة فصار بلون الدم . . بينما راحوا يعدون الفتيات اللاتى ربطن بالحبال كحبات مسبحة . .

أبـى . .

ظهرت على شفتى ابتسامة كبرياء . . قلت فى نفسى أنحن حيوانات أم نحن أوراق "كوتشينة"؟ نحن عرض كشمير وعزتها . . نحن شرف كشمير ونخوتها . . يمكن للعدو أن يستولى على كل ركن من أركان كشمير، لكنه لا يمكن أن يستولى على قلوبنا . . وطالما قلوبنا حرة ستظل كشمير حرة . . لا شك أن النهار الآن ظلمة حالكة لكن فيه نجوم منتشرة هنا وهناك . . ولن يتمكن الهنادكة أبدا من الفوز بكشمير . . فكشمير اليوم ثائرة . .

أبـى . .

كان ثمن حريتى مائة روبية فقط . . وأنا الآن أجلس على لوح خشبى فى البيت المحترق، أكتب إليك بقلم حبر سقط من جيب

جندى هندوكى منحوس . . . أكتب إليك هذا الفصل من فصول الحرية، وسأحاول بطريقة ما إيصاله إليك . .

أدعو الله أن يوفقنى فى محاولتى هذه . . آه لقد تذكرت سوف أرسل أختى الكبرى نسيمه إلى لندن لعلها تصل إليك وبعدها سأسلم نفسى إلى بحيرة "دل" حيث كنا نتفسح فوق رمال شواطئها الحمراء . . وحيث كنا نشعر بالقمر وهو ربيع يتأرجح فوق سطح البحيرة . . حيث ظلال أزهار الجنار . . حيث كانت حقول الزعفران . .

أبى الحبيب

لن يكون لى قبر ، لكن روحى ستظل حية فى كشمير مع أن أحدا من أفراد عائلتى لم يبق على قيد الحياة، لكن ندعو الله أن تبقى كشمير حية خالدة .

توقيع

ابنتك الشريفة الطاهرة

كان نياز أحمد قد جلس وقد طأطأ رأسه . . وكانت عيناه مغرورقتين بالدموع، ولكن على وجهه ظهرت ابتسامة . . .

تمت

أين نذهب ؟!

ظفر حبيب

نهضت زوجتى التى كانت تجلس على الكرسى منذ فترة وراحت تتفرج من فتحة طاق فى الجدار على ما يجرى فى الشارع ، وفجأة أطلقت صرخة عالية ، ثم جلست ، وأسندت رأسها إلى راحة يديها . . .

منذ أيام وهى فى كآبة وقد أصابها الوهن ، لم تكن تنال نصيبها من النوم الهادئ طوال الليل ، وكنت طوال الوقت أراقب حالتها تلك، فاعتقدت أنها سقطت من على الكرسى وفقدت الوعى فنهضت من السرير بسرعة . . وقبل أن أرفع قدمى لأخطو أول خطوة رأيتها تترك رأسها التى كانت قد أسندتها إلى راحة يديها وتثبت الكرسى وتجلس عليه . . فتنهدت وقلت فى نفسى :

- "حسنا . . مر أمر ما حدث اليوم بسلام" .

ولهذا عدت لأتمدد فوق السرير ، وبدأت استكمال قراءة مقال بعنوان "مسألة تحقيق الأمن فى العالم" ، كان المقال طويلا إلى حد ما، وكنت قد استغرقت فى قراءته حين حدث ما حدث من مداخلة ، فاضطرب العقل لفترة ، والعقل عادة يمضى على وتيرة واحدة إذا لم

يعكر صفوه أمر ما ، لهذا رحت، أرتب أفكارى من جديد، وبدأت أحاول جاهدا أن أغرق فى دنيا هذا المقال . . إلا أن الأولاد من بعد أمهم راحوا يحيلون بينى وبين تنظيم أفكارى ، والحقيقة أنهم سمعوا صرخة أمهم ، ورأوها تمسك برأسها وتجلس فتجمعوا من حولها واحدا بعد الآخر ، وراحوا يمطرونها بالأسئلة .

ولم يكن أمر إقلاق الأطفال لى سهلا . . فوددت أن تنهض زوجتى من هذا المكان وتذهب إلى مكان آخر لأتمكن من إكمال هذا المقال الذى لم أكمله . . لهذا كنت أحيانا أود أن أزجر الأطفال وأنهرهم عما يفعلون ، كما كنت أود أحيانا أخرى أن أنصح زوجتى، ولكن الضرورة فى ذلك الوقت كانت تستلزم أن أشحذ هممهم جميعا وأن ألقنهم درس الهمة والشجاعة . .

يقع بيتى تماما على ناصية شارع المدينة المشهور باسم "دين ديال ابادها رود" نفس الشارع الذى كان يسمى قبلا "جامع مسجد رود" ؛ فبعد الاستقلال بعشرين سنة تغير اسم الشارع رغم وجود المسجد الجامع فيه . . . وكان هذا السؤال فى محله : لماذا كانت هناك ضرورة لتغيير اسم الشارع ؟ وهل تغيير الاسم يدل على تغيير الإحساس الذهنى أو الفكرى، وبالتالى الإحساس التاريخى ؟!

على جانبى هذا الطريق عاش لسنوات وسنوات أناس من كل فرقة وكل طائفة ومن كل مذهب ومن كل عقيدة ، ويتجه الشارع ناحية الجنوب، وهناك على ناصيته يقع المسجد ، وحول المسجد يوجد حى يقطنه أتباع هذا المسجد ، وفى هذا الحى يوجد بيتى .

بعد تغيير اسم هذا الشارع بعدة أشهر جاء إلى الناحية الشمالية منه أسرة من جماعة السيخ وسكنت هناك ، وربما كان قرارهم بالإقامة هنا يرجع إلى أن الناس فى هذه المنطقة يجنحون إلى السلم ويعشقون الأمن والهدوء ، وتغيير الاسم لن يؤدى إلى حدوث شغب أو إثارة ضجة أو فتنة . . .

فى مختلف أنحاء البلاد وفى أوقات مختلفة حدثت اضطرابات ووقع شغب من كل نوع، لكن هذا الجو الساخن المشحون بالكراهية لم يتمكن من الوصول إلى ديارنا ، ومع أن الناس مختلفو المزاج فيما يتعلق بما يقرؤون وما يكتبون وما يأكلون وما يشربون، إلا أن روح التصادم لم تتمكن من الوصول إليهم ، فكل شيء هنا يمضى بطريقة صحيحة ،. . هذا الحى يطلق عليه فى المدينة اسم "بوش كالوني" ، والناس الذين يقطنونه هم جميعا ممن يجلسون على كراسى لها قيمتها في مكتب أو إدارة ، أو إنهم من التجار النشطين ، والنساء هنا فى هذا الحى مشغولات فى قضاء أوقاتهن يتبادلن الأحاديث عن "موضة" الملابس وبخاصة "السارى" وأحجام "التليفزيونات" المختلفة وألوان السيارات والدراجات البخارية وزخرفة المبانى وكل ما هو جديد فى عالم المفروشات وغيرها . . ثم يناقشن بعد ذلك هذه الموضوعات مع أزواجهن ، وخلال المناقشة يعرضن مطالبهن . . كانت هذه هى الهواية المفضلة لديهن . . أما طبيعة الأطفال هنا فتختلف عما هى عليه عند بقية أطفال الدنيا : فى الصباح طاولة الدروس ،وفى المساء الجرى فى الشوارع ، الحديث عن "الموضة" الجديدة ، صور المجلات ثم فى أيام الإجازة الذهاب إلى النزهة أو السفر بقصد السياحة . .

ثم كانت هذه الحادثة التى جاءت من سـمت الغيب . . فأحرقت روضة السرور بأكملها ، كانت حادثة عادية جدا بالنسبة لأهل الحى، لكنها بالنسبة لزوجتى حادثة عجيبة بصفة خاصة ، كانت تصر على أن نخرج من هذا المكان حين يخفف حظر التـجول، كان اليوم هو الرابع منذ أن فـرض حظر التجـول ، وفُرض هذا الحظر من الصـباح حـتى المسـاء، ومن المساء حـتى الصبـاح بشكل متـواصل ، وعم السكون ، وخيم الهدوء على كل مكان، وصار النهار كالليل مفزع وشنيع يتخلله صوت الأذان أحيـانا، وأحيانا أخـرى صـوت إطلاق الأعيـرة النـارية أو الانفجـارات . . كانت هذه الأصـوات المتمايزة فى نوعـها رفـيقنا وجليـسنا منذ أربعـة أيام . . وكلمـا توقـفت هذه الأصـوات راحت زوجتى تكرر إصرارها بأن نغادر هـذا الحـى .

حاولت باستمرار إفهامهـا بأن ما يجرى هنا ليس موجها ضدها، لكنها لم تكن على استـعداد لقبول تفسيرى بأن مـا يدور ليس موجها ضدها ـ كـانت فقط تـقـول : "إن مـا حدث حـدث مرة، ويمكن أن يتوالى حـدوثه مرات ومـرات، وإذا كان ما حـدث قد أصـاب بيوت الآخرين فيمكن أن يصيب بيتنا أيضا" .

وسألتها :

"أى مكان ذلك الذى يمكن أن نصل إليه فنجد الأمن والهدوء؟! إن البلاد كلـها الآن فريسـة فى قبـضة الفتـنة والفوضى، قد تـختلف الأسبـاب هنا وهناك إلا أن نوعية الفـتنة واحدة؛ فالأسلحـة هى لغة

العصر الحاضر ، وأصوات هذه اللغة الانفجارات ، ونغماتها تعزف فى كل لمحة نغمة الأجل ، والجنس البشرى كله يدخل دائرة اختيار هذا العفريت . . " .

فإذا بها تقول :

"إن من تدمر بيوتهم وتخرب اليوم سوف يفكرون غدا فى ارتكاب نفس الشىء، ولكن أليس من الممكن أن يفكروا اليوم فى هذا ؟ "

أردت أن أفهمها أنه لا يوجد أى مكان آمن يمكن اللجوء إليه وهذه المسألة لا يحلها تغيير السكن ، بل حلها يكون بتغيير العقلية ، والعقلية التى أمكنها أن تعبر المسافة بين "مسجد رود" و "ابادهيا رود" يمكنها أن تقوم بمراجعة ما يدور . . فتدل هؤلاء المتناحرين على طهارة "مسجد رود" . . لكن كلامى لم يعجبها فراحت تقول :

"سوف تظل طوال العمر تتحدث عن تغيير العقلية وتغيير الذهن بينما النار تشتعل فى هذا البيت حينا وفى ذاك البيت حينا آخر" .

ورغم الموافقة على مصداقية ردها، إلا أننى بقيت غير موفق فى تغيير طريقة تفكيرى؛ أى أن التغيير الذهنى هو الحل الأمثل لجميع القضايا، فإذا تمتع الذهن بالصلاحية وإذا ما عم الحب بين الناس ، انتهت جميع الاضطرابات والفتن . . فالأمن فى الأصل ضرورة إنسانية، والقتال لا يمكن أن يطول بينما الأمن يمكن أن يستمر ويستتب . .

كان مـا حدث منعطف جـديد لما كان يدور بيننا من حـديث منذ عدة أيام ، كـان صرخة جـديدة أحالت بيتى إلى بوتقـة من غضب ، وأشعلت لهيب النزاع والـعراك بداخله ، فقد أصيب أطفـالى الصغار بالخوف والـرهبة، وراحوا يسـألون أمهم دون توقـف عما رأته بيـنما رحت أنا أحـاول للمرة الثـانيـة أن أقرأ عن "قـضيـة قيـام الأمن فى العالم" إذ هى ضرورة من أشد ضرورات الوقت الراهن ، ومن ناحية أخرى بقيت زوجـتى . . لم تتحرك من مكانها قـيد أنملة ، ولـم تنطق بحرف ، فاضطررت إلى القيام والتوجه إليها لأسألها عما حدث :

"ماذا رأيت من طاق الجدار . . ؟"

لم تتكلم فـى البـداية وبعـد إلحاح مـنى قـالت إن الناس الذين يسكنون فى البيت المقابل لبيتنا ، قام جيـرانهم باقتحام بيتهم، وقاموا بجرجـرة ابنتهم البالغـة من العمـر أربع عشرة سنة ، أخـرجوها من البيت وراحوا يضعون شيئا بين رجليها و . . .

بدا لى كلامهـا متناقضا غير مـترابط ، فرحت أستفـسر منها عن حقيقة ما حدث، وقلت لها إن هؤلاء الناس ينتمون إلى طائفة واحدة ، وحياتهم المعـيشية واحدة، حـتى تجارتهم أيضا ، وبينهم صداقـة متينة والطفلة دائمـا تنادى عليهم تقـول يا أعمامى ويـا أخوالى ، لابد أن نظرك أخطأ وتخـيلت عـيناك أشـيـاء . . . إلا أن زوجتى قـاطعـتنى وأعادت على سمعى ما قـالته من قبل، وأصرت على أن ما رأته وقع فعلا وأن نظرها بخير والحمد لله ، ومـع هذا سألتها سؤال آخر يتعلق

بالسلاح الذى استخدم مع الفتاة فأصرت على قولها وقالت شاهدت هذا السلاح فى يد هؤلاء الناس الذين تظن أن وجودهم يعنى وجود الأمن ، والذين تظن أن وجودهم يعنى أنك فى مأمن كامل .

فى تلك الأثناء تناهى إلى سمعنا صوت صفارة الإنذار فاندفعت إلى طاق الحائط . . أنظر وأستكشف بنفسى حقيقة الأمر ، وفعلا شاهدت بأم رأسى الطفلة البريئة ذات الأربعة عشر ربيعا التى تسكن فى البيت المواجه لبيتنا وهى ممدة ترتعد وسط الشارع والدماء تنساب من بين فخذيها . . وبقيت أشاهد ما يدور . . جاءت عدة سيارات شرطة وتوقفت ونزل منها أناس يرتدون أزياء مختلفة تدل على أنهم ينتمون إلى جهات مختلفة ، دخلوا البيت المقابل لبيتنا وراحوا يسحبون جثث الموتى من جيراننا ويجمعونها على جانب الطريق ، ثم بدأوا يطرقون باب جيراننا الآخرين الذين تحدثت عنهم زوجتى ، وراحوا يوجهون إليهم بعض الأسئلة ووقفت أشاهد من طاق الجدار هذه التمثيلية المفزعة الرهيبة . . شاهدت هؤلاء الجيران يشيرون إلى ناحية بيتى، وفجأة بدأ جرس الباب يدق ، فخرجت . . بدأ هؤلاء الناس يحيطون بى وراحوا يبحثون عن بقع دم على ملابسى . . واقتحم بعضهم بيتى ، فارتعدت وفوضت أمرى وأمر بيتى لله وحده ، وعاد هؤلاء الناس دون أن يجدوا ما يبحثون عنه وتجمعوا حولى . . . وأمامى كان أولئك الناس الذين اعتاد أولادهم على الذهاب إلى المدرسة مع أولادى والذين كانت تربط زوجاتهم بزوجتى علاقات حميمة ، راحوا يقولون للمفتشين فى آن واحد ويشيرون مؤكدين

وجود بقع دم على ملابسى . . أصابنى الذهول . . رحت أتحدث عن نفسى أخبرهم بأننى معلم ومرب فاضل للنشء وأديب أكتب الروايات والقصص . . وكنت غارقا فى القراءة قبل أن أسمع صفارة الإنذار . . لكن الأصابع كلها راحت تشير إلىّ . .

بدأت عملية اعتقالى تأخذ حيز التنفيذ ، وبدأت لهجة خشنة تظهر فى صوت المفتشين ، وفجأة دبت الحركة فى جسد الفتاة الجميلة البريئة الذى خيم عليها قبلا سكون رهيب لفترة، شاهدها المفتشون فساعدوها على الجلوس ثم قدموا لها كوبا من الماء ، ولم تكد قطرات الماء تبلل حلقها الجاف حتى بدا الارتعاش على لسانها وبدأت تنطق . . قالت إن جميع أهل بيتها قتلوا بخناجر هؤلاء الجيران الذين يشيرون عليّ بأصابعهم . . وقالت عنى وعن أهلى إننا طيبون شرفاء، وإنها تعرضت لما تعرضت له من قبل هؤلاء الجيران الذين كانوا يشيرون إلىّ . . وقبل أن تكمل الفتاة كلماتها وجدتنى أضمها إلى صدرى . . وانفجرت باكيا . . شعرت وكأنها ابنتى التى تعرضت لهذا العمل الوحشى . . وانحدر رأس الفتاة البريئة ليستقر بين أحضانى، وبدأت أفكر :هل الأمان موجود حقا فى حيّنا . . فى حى "بوش كالونى" وفى شارع "بادهيا رود" أعنى شارع "جامع مسجد رود" سابقا ؟!

تمت

الجُـذور

مُنشاديا

أخــذوه بالقوة إلى الحفل . . .

وحتى يجعلوه كقطعة عـجين فى أيديهم ، قرروا أن يُشربوه الخمر ، وأن يجعلوه يدخن الحـشيش ، ومن ثمّ يأخذونه ليـشاهد استـعراض الرقص على المسرح ، حتى يزيلوا عنه ما يعتريه دائما من خجل وحياء .

حين وصل إلى الحفل كانت رأســه تدور ، كان على يقين من أنه سـوف يسقط فى تـرعة أو يقع فى بركـة ، وأن الكلاب سـوف تلعق وجهه ، فـقد ظل يسمع منذ طفولته أن الإنســان لا يظل إنسانا إذا ما شرب الخمر ، وأنه يصير حيوانا ، فـالخمر تجعل الإنسان مفلسا ، ذليلا ، وتفقده النخوة والشهامة ، وتصيب عقله بالتبلد ، وتمزق كبده .

كان يشــعر بعـقله وقد تبلد ، وبكبـد يتمزق ، وبدا كـأنه ابتلع جمرات متأججة بالنار ، وكان على يقين من أنه لو لم يتماسك لهوى إلى قاع ترعة أو بركة ، فأحس بالقيء ، وصار يتقيأ مرة تلو الأخرى ، وكان دخوله دورة المياه ذنبا وإثما ، وتخيل الكلاب تلعق وجهه ، فقد كانت فكرته عن الخمر وشاربيها فكرة قديمة بالية إلى حد كبير .

ولعله لهذا السبب ، ورغم وجود تلفاز فى بيته ، لم يشاهد أى فيلم إنجليزى . . لا . . لا ، ولم يشاهد حتى أى فيلم بالأردية أو البنجابية ،فلو أنه شاهد برامج التلفاز لما تكونت لديه هذه الفكرة البالية القديمة عن الخمر وشاربيها !!

كانت هناك أنماط عديدة من الناس ، يجلسون فى مقاعد المسرح المتهالكة ، بينما كانت المقاعد الخالية تغطيها الأتربة ، فقاموا بنفضها بمناديلهم ، ثم جلسوا ، بعد أن أجلسوه وسطهم حتى لا يتمكن من الفرار .

كان الدخان ينبعث من كل ناحية داخل المسرح ، ولعله لم يكن هناك من لا يدخن السجائر ، وبينما امتلأ جو المسرح بالدخان والغبار والأتربة ، كاد دماغه أن ينفجر من رائحة دخان السجائر والحشيش ، وبدت أمامه خشبة المسرح خالية من ملامح الجمال ، بينما كان العازفون يجلسون لا يحركون ساكنا ، والمطربات الشهيرات يصرخن بأغانيهن من خلال أجهزة التسجيل الضخمة ، صراخا يمزق طبلة الأذن ، وبدا الأمر وكأن معجون الموسيقى قد طفح فى "مصرف" حمل مجارى المدينة ، بكل ما فيها من قاذورات .

كانت رأسه تدور ، بينما شعور الخجل يعتريه ، والارتباك يحتويه ، كان يخامره إحساس بأن أباه سيأتيه من الخلف ، ويقبض على رقبته ، ويسحبه قائلا :

– هيا ! سوف أُسمعك الأغانى ، وسوف أجعلك ترقص رقص الغوانى .

وكان يزيد من شعوره بالخجل فكرة راودته ، ماذا لو ظهر من بين الجمهور من يعرفه ، فيذهب ويخبر أهله ؟!

قبل أن يأتى إلى المدينة الجامعية كان يعتد بنفسه كثيرا ، ويرى أنه ذو شأن كبير ، ربما لأنه كان يحصل على درجات عالية فى الامتحانات ، لكنه جاء إلى الكلية ، وإلى السكن الجامعى ، فبدؤوا ينظرون إليه على أنه من أصحاب الأفكار الرجعية ، وأنه متخلف ودقيانوسى ، فالأمر فى الكلية ليس مجرد مذاكرة فقط ، فهناك أهمية للنشاطات الأخرى غير المنهجية ، بينما ينظر البعض لأولئك الذين يقرؤون الكتب ، ويحصلون على درجات عالية ، ويواظبون على إقامة الصلاة ، على أنهم أصحاب أفكار غير حضارية !!

فالطلاب هنا لديهم هوايات واهتمامات متعددة ومتنوعة ، فالكثير منهم يلعب كرة القدم والهوكى والكريكيت ،لكنه لم يكن يهتم بالألعاب . . فقد لعب مرة الكرة الطائرة ، فسقط عدة مرات على وجهه ، وأصيب بجروح ، كما أنه يرى الهوكى لعبة غير محترمة على الإطلاق ، فالطلاب يتعمدون كثيرا تحطيم أرجل الفريق الآخر ، وفى ملعب الكريكيت يصيبه الغثيان من جراء الوقوف والمشاهدة المملة ، وهو يخاف لعبة البولو فقد تنخلع ذراعه ، وحتى الاشتراك فى فريق عزف الموسيقى يختلف مع طبيعته ، فأفراد هذا الفريق – فى رأيه – مثل "مشخصاتية" الشوارع .

يرى من داخله أنه لا يوجد فى قلبه أمنية ما أو رغبة من أى نوع ، لكنه كان دائما يرى أحلاما جميلة ، وكان عاشقا لكل ما هو حسن

وجميل ، وكان يأنس كثيرا للرسم ، والشعر والأغانى العذبة ، كانت الأشجار بأغصانها ، وفروعها المورقة ، والسماء بسحابها وقمرها ونجومها ، والفراشات بين الزهور ، والكتب ، كل هذه الأشياء كانت تجد لها مكانا فى قلبه ، فيعشقها ويحبها .

فى الصالة المغطاة حين كان الطلاب يلعبون الورق (الكوتشينة) أو الشطرنج أو حتى "تنس الطاولة" ، كان هو بدوره ينشغل بقراءة افتتاحيات الصحف والأعمدة اليومية الثابتة ، ويستمع إلى الأناشيد الجميلة من المذياع ، ويتمنى من صميم قلبه أن يكتب مثل هذه الأناشيد ، ويدندن بها ، كانت في قلبه أمنيات أخرى كثيرة ، لكنه لم يعلن عنها أبدا ، ولم يفصح عن أى رغبة من رغباته ، كان يشترك فى النشاطات داخل الصالة المغطاة ، لكنه ، ولعله لم يكن يستطيع أن يفعل شيئا سوى القراءة والكتابة ، كان إذا لعب الشطرنج ينهزم ، ورغم أنه حاول آلاف المرات لم يتمكن من لعب الورق "الكوتشينة" فقد كان يستغرق وقتا طويلا فى البحث عن الأوراق المناسبة بينما يتمكن زملاؤه من سلبه جميع الأوراق . .

ظهر على خشبة المسرح رجل هزيل ، أمسك بمكبر الصوت وأعلن:

- حان الآن وقت عرض الرقص الثنائى ، هيا يا سادة ! روبية واحدة من أجل هذا العرض .

ولم يكد الرجل الهزيل يبتعد عن مكبر الصوت حتى بدأت الموسيقى تصخب من جديد ، تذكر أنه كان يسمع موسيقى هذه

الأغنية من المذياع فى صالة الكلية المغطاة ، إلا أن هذه الأغانى التى كان يتلذذ بسماعها صارت تحز فيه كالمنشار ، بينما الأغانى التى كان يتذكر كلماتها ، صارت غير مفهومة له على الإطلاق .

بدأ الناس فى التصفيق والصفير والخبط بالكراسى ، عندما قدمت فتاة شابة إلى المسرح وبدأت فى الرقص . . كانت تشبه زبيدة فى ملامحها . .

يا تُرى !! ألا تكون هذه زبيدة بشحمها ولحمها ؟! بدأ قلبه يدق بسرعة ، بدأ ينظر ناحيتها ، يحدق فيها ، فاكتشف أنها تغنى أغنية ما ، كان بعض الجالسين فى المقاعد الأمامية يغمزون لها ، ويلمزون ، فى الوقت الذى انفجرت فيه ضاحكة وهى ترقص .

فزع ، وانتفض ، لم يكن قد رأى زبيدة منذ ثلاث سنوات تقريبا ، ربما تغيرت قليلا ، تذكر ضحكاتها ، فكثيرا ما كانت تأتى إلى هنا قبل أن ينتقل والدها للعمل فى مدينة بشاور ، كانت زميلة أخته الصغرى ، كانت تضحك ضحكات قصيرة حلوة ، تصدر عنها بصوت متقطع ، لأنها كانت تخجل من الضحك ، وكان هو أيضا يخجل منها ، لكنه كان يقف مختفيا فى الشرفات ، وخلف الأبواب ، ومن وراء الستائر ، ليستمع إلى تلك الضحكات الحلوة، التى تصدر عنها ، فى تتابع مثير . .

كم كان يرغب دائما فى أن يستمع إلى ضحكة حلوة طويلة تظل كامنة فى ذاكرته ، يسترجعها ، يتمتع بها فى وحدته ، طوال حياته .

وأثناء عرض الرقص الثنائى انفرط عقد شعرها ، فانساب شعرها على كتفيها ، وغطى وجهها ، بطريقة مثيرة ، فتوقف قلبه ، وأصيب بصدمة ، وبدأت مئات الإبر تخزه فى جسمـه ، فقد تذكر فجأة شعر " زبيدة " الجـميل ، لم يسـتطع أن يصل إلى قرار ، فـيمـا إذا كان جمـال زبيدة نتـيجة لـصوت ضحكاتهـا الحلو ، أو نتيـجة لشـعرها الكثـيف ، الطويل الأسود بلون الـفحم . . فـالله وحده يعلم كـيف يمكنهـا حمل عبء هذا الشعـر الكثيف المكون من مـلايين الملايين من الشعيرات السوداء الطويلة .

وتـذكر أنه ذات ليلة كان يستـعد لاختبار الجغرافيا ،فـتذكر شعر زبيـدة ،فظل طوال الـليل فى حـيص بيص ، يخلـط مـا بين القطب الشـمالى والقطب الجنوبى ، وبين القـطب الجنوبى والقطب الشمـالى على الكرة الأرضـية ، وهو يحاول أن يضم هذا الشـعر فى خـياله ، ويعده شعـرة شعرة . . فى تلك الأيام كان يختـار من دواوين الشعراء تلك الأبيات التى تتحدث عن الشعر والزلف والذوائب .

كانت زبيدة لا تزال ترقص .

أخذت رأسه تدور وتدور ، وبدأت الأشياء القريبة منه تتباعد عنه ، بينما الأشياء البعيدة عنه بدأت تـقترب منه ، كان يشعر بالنوم ، وكان يريد بالفعل أن ينام ، لكنه هب من نومه فجأة مذعورا ، واعتدل يريد أن ينهض ، لكنهم أمـسكوا به وأقعدوه . . كـان فى حيـرة شديدة ، أخذ يفرك عينيه، وظل ينظر ناحية المسرح .

وبعد "زبيدة" ظهرت "نورا" ابنة خاله ترقص على خشبة المسرح .

ذهب فى السنة الماضية إلى قريتها أثناء العطلة ، لم يكن يعلم أن خاله قد اتفق على تزويجها ، كل ما كان يعرفه فقط أن جسم "نورا" الغض الجميل ،الفارع كغصن البان ، يرسل أشعة مغناطيسية تظل تجذبه إليها بعد أن يبتعد عنها آلاف الأميال .

كانت "نورا" تنحنى على حافة حشبة المسرح تتلقى من المتفرجين "النقوط" أوراقا مالية ، بينما كان الرجل الهزيل يصرخ بأسماء من يقدمون لها "النقوط" وكان ارتفاع صرخاته على قدر المبلغ الذى يقدم لها ، وفجأة أمسك أحدهم برسغ "نورا" .

تفجر الدم فى عروقه ، رغب لو وثب فوق هذه الجماهير ، وطار وحطم أسنان ذلك الرجل الذى أمسك برسغها . .

ظل ينتفض ، ثم نهض من مقعده ، لكنهم أجلسوه ، وكبلوه فى المقعد مرة أخرى .

وبعد أن شاهد "نورا" ترقص أمام الجمهور ، استسلم تماما ، وتدلت رأسه فوق صدره ، وحين رفع رأسه رآها ترقص وتتلوى بشكل بذيء ، فغضب غضبا شديدا ، وأخذ يضغط على أنيابه ، ويعض على شفتيه ، ثم بدأ يوجه لكماته لمن حوله ، محاولا النهوض من مقعده ، وصرخ بصوت عال :

- "نورا" "نورا" .

فتلفت الناس إليه ، وخاطبوه :

- هذه ليست "نورا" هذه "بروين أختر" .

- مجنون . . .

- أحمق . . .

- عاشق . . .

- سكير . . .

- مسطول . . مخبول . .

سقطت عليه هذه الكلمات كالأحجار ، أصابته بجروح الخجل الدامية ، فغطت الحمرة وجهه ، فجلس صامتا .

تركت " نورا " خشبة المسرح ، وأُعلن أن "قمر" سوف تبدأ فى عرض فنها الرفيع ، وسوف تغنى بعض الأغنيات بناء على طلب الجمهور.

ظهرت "قمر" على خشبة المسرح ، فصمت وكأن على رأسه الطير ، أو كأنه أصيب بالبكم ، ، وشلت جميع أعضاء جسمه . . إنها ابنه عمته "شاذية" التى تم زواجها منذ عدة أشهر ، حين كانت فى ملابس الزفاف بدت هكذا تماما ، نفس تسريحة الشعر ، نفس القد والقامة ، نفس ملامح الوجه . . . نهض يريد الفرار ، لكنه كان مقيدا بالمقعد ، أخذ يخفى نفسه وراء الرجل الجالس قدامه ، كيلا تراه ابنة عمته الصغرى ، وتسأله أمام هذا الجمهور الكبير :

- جاويد ! أأنت هنا ؟!

مع بدء نغمات صوت الحجل فى رجليها ، ومع عزف القيثارة ، ونقر الدف والطبلة بدأ الخوف من زملائه يساوره ، فقد لا يعلم هؤلاء أن من أمامهم ليست "قمر" لكنها ابنة عمه الصغرى .

تذكر أن صوت ابنة عمه رائع وجميل ، وأنها دائما كانت تدندن ، وهى مسترخية فى غرفتهـا بالأغنية الشهيرة : "حل الربيع بنا فالحبيب قادم لبيتنا" . .

كانت خـجولة إلى أقصى درجة ، لو سـاورها شك فى أن أحدا من الناس يستـمع إلى دندنتهـا ، ابتلعت الكلمات على الفـور ، كان أهل البيت يطلبـون منها أن تغنى لهم أحيـانا فى حفلاتهم الخـاصة ، فكان وجهها يحمر خجلا ، وتخفى رأسـها بين ركبتيها ،وتتحول إلى "كومة" .

لا . . . لا . . لماذا تأتى ابنة عمته إلى المسرح ، إن راتب زوجها معقول جـدا ، كيف تكون هذه قمر ، ولا يوجد فـرق ولو مثقال ذرة بينهـا وبين شاذية بنت عـمتـه !! من يدرى ؟! لعل هذا من شـيطنة أصحاب المسرح الذين يُخيلون للمـشاهدين أن الراقصات هن أمهاتهم وأخواتهم ، وحتى يُبعد الشك عن نفسه سأل أحد زملائه :

- حميد ! هل تبدو لك قمر كابنة عمتك ؟

- ما هذا التـخريف ؟! أجابه حـميد بقـرف ، لم يبـعد الشك عنـه .

فسأل الجالس فى المقعد التالى :

- يا أخى هل تبدو لك قمر مثل بنت عمتك ؟

فلطمه الرجل على وجهه .

وهنا حدث هرج ومرج ، وانقض الجميع على الرجل الذى لطمه ، وبصعوبة كبيرة نجا من بين أيديهم .

تركت قمر خشبة المسرح ، فشعر بالخوف ، كان على يقين من أن أباه سيظهر على خشبة المسرح ويعلن :

- هيا ! سيبدأ عرض الرقص . . أسرعوا . . تعالوا هنا . .

لقد قالوا لى بأن جميع النسوة اللاتى سيظهرن على المسرح من محترفات الغناء .

لكنه لم يصدق هذا ، ونهض يريد أن يهرب ثانية ، فأمسكوا بذراعه ، فبدأ يقول وقد صار بلا حول ولا قوة :

- أنتم جميعا تكذبون . . إنهن يبدين لكم مثل أمهاتكم وأخواتكم ، لكنكم تخفون هذا الأمر عنى . .

وانخرط فى البكاء كطفل صغير !

تمت

كـــرب

سلمى ياسمين

كـــنـــت أنزل فى فندق على طريق "ايرلز كـورت" وفى الصـبـاح تناولت طعام الإفطار ، وخرجت إلى محطة "مـترو" الأنفاق القريبة لأركب المترو وأنطلق حيث أريد . .

وأمام شـباك التذاكـر وقفت أمام امرأة هـــدتها السنون والأيام ، قمحية اللون ، مليحة القسـمات ، حلوة التقاطيع ، ترتـدى ما يشبه "الجيبة" أى التنورة ، وعلى رأسها عقـدت منديلا كبيرا أخفى شعرها تقـريبا ،وبـدت لى كامـرأة تعـمل فى الإرسـاليات التنـصيـرية فى مستشفيات بلادنا جاءت هنا لتجلس فى هذا الشباك فى مدينة لندن . . حين رأتنى علت شفتيها ابتسامة صدرت من داخلها ، فزاد يقينى بأنها لابد من "بلدياتى" . . .

فى ذلك اليوم كان عليها أن تذهب لعمل ما . . فاتفقنا على أن أنتظرها عند مـحطة مـترو الأنفـاق ، على أن تقـابلنى ونمضى معـا نتمشى فى شارع "أكسفـورد" ومحطة مترو الأنفاق الواقعـة فى طريق "ايرلز كورت" لا تـقع تحت الأرض بل هى كبـقية مـحطات السكة الحديد . .

حضـرت فى الساعة الحـادية عشـرة، ووقفت أنتظرها يتـخبطنى القادم والذاهب فـى هوجة الزحام ، وسـاورنى قلق واضطربت حين فكرت فى الذهاب وحدى إلى المصـعد الشبيه بالغـرفة المغلقة ، لأن المصعد كان يمتلئ فى التـو بحشد المسـافرين . . فى الحقيقة لندن مدينة عـجيـبة ، يتـراءى لك فى شوارعـها كل أنواع البـشر إلا الإنجليـز : الأسود والأصـفر والأشقـر والأبيض وهلم جرا . . وبحـسابات لندن كـان صيف هذا العـام شـديد الحرارة مما جـعل الناس يخـففـون من ملابـسهم؛ فظهـرت سواعـد الرجال وأرجلهم إلى الفـخذين وحـتى صدورهم وظهورهم كانت عـارية لا يسترها شيء . . وبدت الأشكال البشرية واضحة - فاضحة - بأكملها . . يا لها من رعونة ، ودهشت وأنا أشاهد ألوان الشعر الذى يغطى رءوس البشر : برتقالى . . ذهبى ملتهب . . وردى على جـميع الألوان وبجميع الأشكال : المسـترسل والمعقـوص والمعقود . . وفى الآذان والرقـاب وعلى السواعـد كانت هناك أنواع متباينة الأشكال من الأقـراط والحلقات والعقود والسلاسل . . ولاحظت أن هناك واحدا من كل ثلاثة شـبان يرتدى الملابس السوداء . . و"البنطلون" واسع أشـبه بالسـروال والقمـيص منتفخ والأكـمام شمـرت حتى مفـصل الذراع . . . هذا إن كان هناك أكمـام . . بينما الأظافر مطليـة باللون الأسود والعيـون مظللة بالأسود وأحمر الشـفاه تحـول إلى اللون القاتم القـريب مـن الأسـود . . . يا الهى لم تعـد عيناى بقـادرة على التـمييز بين الفتى والـفتـاة وكـأننى فى غـابة تعج بأبنـاء وبنـات "اللورد دراكولا" . .

أخذت أروح وأجيء مع أمواج المسافرين هنا وهناك ، وإذا بالمرأة المكلفة بمراقبة التذاكر فى المحطة تشير إلى ، اعتقدت فى البداية أنها تشير إلى أحد غيرى ، فتلفت حوالى ، إلا أنها ظلت تشير إلى ناحيتى، وتحيرت قليلا وترددت قبل أن أذهب إليها . . فقالت لى بلغة أردية "مكسرة" :

"هل أنت مسلمة ؟"

"نعم" .

"باكستانية أم هندية ؟ أظنك باكستانية !" .

"ظنك فى محله . . أنا من باكستان" .

"هذا البنطلون الذى تلبسينه ماذا تسمينه ؟!"

"شلوار . ." .

"سلوا (نطقتها بالسين) إنه يعجبنى كثيرا ، كيف تلبسينه ؟ أرنى كيف تلبسينه ؟" قلت فى نفسى لعلها تحاول أن تمزح معى؛ فهذه الإنجليزية لا تعرف من الشلوار اسمه ولا رسمه . . .

"كيف يمكننى أن أريك هذا أمام كل هؤلاء الناس" .

"تعالى هنا داخل الكابينة" .

ونجحت بصعوبة فى إفهامها كيف تلبس الشلوار . .

"إنى أتوق من كل قلبى إلى ارتداء هذا الزى ، كانت جدتى ترتديه فى زمن ما . . " .

"يمكن أن ترتديه إن أعجبك" .

فأخذت نفسا عميقا وقالت لى :

"لكنى مكرهة . . فأنا أعيش هنا، ولذا يجب أن ألبس زى هذه البلاد ، آه زوجك ليس معك اليوم أنا أشاهدكما معا كل يوم ، إنك تضعين (إيشاربا) على رأسك أيضا ، لهذا تأكدت من أنك مسلمة . . هل تعرفين "الشهادتين" ؟

"كل مسلم يعرف النطق بالشهادتين"

وتحيرت كثيرا ماذا يهم هذه المرأة النصرانية من نطق الشهادتين ؟!

"أسمعينى إذن الشهادتين" .

"لماذا ؟!" سألتها بامتعاض

"لأنى مسلمة أيضا . . " .

"أنت . . ؟"

"نعم . . ألا تصدقينى . . إن قلبى يتوق لسماع الشهادتين" .

فنطقت أمامها بالشهادتين : أشهد أن لا اله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله . . وبدت كأن عينيها امتلأتا بالدموع . . فراحت تعبث بأصابعها داخل شعرها القصير . . ثم قالت :

"قضيت حياتى كلها هنا . . فنسيت الشهادتين تدريجيا . . لكنى مسلمة . . نعم أنا مسلمة".

وانتابنى شعور بالاهتمام بها فسألتها :

"هل أنت باكستانية ؟"

"لا يا عزيزتى . . لا . . أنا لست باكستانية . . لقد هاجرنا إلى هنا من إفريقيا الشرقية بعد أن طردت الجالية الآسيوية من هناك".

"فكيف إذن تعرفين الأردية ؟ الأردية لا يتكلمها أحد فى إفريقيا الشرقية".

"صدقت . . لكن أبى وجدى من "الكجرات"، أبى كان شيخا فقيها يعلم الناس شعائر دينهم ، فقدم والدى بعد أن اصطحب جدتى معه إلى إفريقيا وتزوج فى إفريقيا أيضا ، كان أبى رجلا تقيا . . كان طيبا . . لقد علمنى النطق بالشهادتين، وعلمنى أمورا كثيرة من أمور الدين والآن نسيت كل شىء".

وانقبض قلبى . .

"ثم ماذا حدث" ؟ سألتها ببرود

انهمكت فى الحديث معى والمسافرون يمضون يبرزون لها بطاقات اشتراكات المترو الملونة والتذاكر وهى تهز رأسها دون أدنى اهتمام . .

"آه ثم ماذا كان ؟ توفى أبى وجدتى هناك، وجئت مع أخوتى إلى هنا ، تزوجت بشباب عربى ، كان قاسيا لم يكن يطعمنى بل كان يأخذ راتبى كله إذ كنت أعمل".

"هل يمكن أن يحدث هذا فى لندن أيضا ؟"

"لماذا ؟ أليس فى لندن بشر ككل البشر . . هنا أيضا يحدث كل شيء . . جاءنى منه ولدان . . الحمد لله كلاهما مسلم . . ثم طلقنى وتزوج بأخرى ، وأخذ مني الولدين ، فوجدت نفسى فجأة وحيدة بلا مأوى وبلا عمل . . فعشت على راتب الإعانة الاجتماعية . . لم يفكر بى أحد على الإطلاق فأخوتى كانوا مشغولين بأنفسهم . . لم يفكر أحد منهم بأن يُطيّب خاطرى بكلمة . . فجأة وجدت نفسى وحيدة تماما، والمرأة فى النهاية امرأة تحتاج إلى عون الرجل . . إلى محبته وإلى حمايته . . ".

وسكتت، وراحت تفكر قليلا ثم قالت :

"إننى أرتاح إليك كثيرا . . أرتاح كثيرا إلى كل من هو مسلم . . . ففى النهاية أبى الحبيب كان مسلما . . إننى أستريح لفكرة ارتداء هذا الشلوار والقميص . . لكن للأسف لا يمكن أن أفعل ذلك فلم أتعود على ذلك ، كما أن هذا الزى لا يتماشى ولا يتناسب مع الوظيفة".

"هل تسكنين بمفردك ؟"

"حين اعتصرنى الألم ونهشتنى الوحدة . . اهتم بى رجل . . طيّب جراح الألم ومسح دموع الأسى ، وشد من أزرى ، وكنت آنذاك مريضة ، فقام على خدمتى وتزوجته فى النهاية . . لم يطلب منى تغيير دينى ، أو تغيير اسمى . . فأنا حتى الآن "زينب"، أخذنى من أهلى ولكن لم يطلب منى أن أعبد الأصنام أو حتى ألبس

كالهنادكـة ، فى بيتنا أصنام الآلهـة ، ولكنى لم أسجـد لها أبدا ولم أعبدها ، تمر علينـا أعياد الهنادكة واحتـفالاتهم فأشترك فـيها، ولكنى أتمتع بكامل حريتـى . . أفعل ما أريد ، آكل اللحم خـارج البيت . . فزوجى يحـبنى كثيـرا . . فماذا عسـاى فاعلة ؟! الجمـيع يعرف إننى مكرهة ولهذا لم يغضب منى أحد فأنا مسلمة . . أنا لا أعبد الأصنام . . أنا آكل اللحم" .

"هل عندك منه أولاد ؟"

"عندى ولدان وبنت . . كلهم كبروا الآن" .

"مسلمون ؟"

"لا . . لا . . كيف يكون ذلك . . هم غيـر مسلمين هم على دين أبيهم ، كما يكون الأب يكون الأولاد ، أنا كنت مكرهة ، هذا الهندوكـى الذى يحـبنى أفـضل من الزوج المسلم الظـالم . . أليس كـذلك؟! كنت أحـتـاج إلى مـعين . . . اللـه يعـرف كل شىء الله سيسـامحنى . . ولعلك لن تسرين إذا عـرفت أن أخوتى من المسلمين وأولادى المسلمين غضبوا منى كثيرا ، قالوا أنى تزوجت من هندوكى ولهذا فأنا كـافرة ، وإننى سوف أحرق بعد أن أموت وأظل مـحترقة أبدا . . فـخفت وارتعـبت وظللت أبكى وأبـكى فرق زوجى لحـالى ووعد بأن يسلم جـسدى بعد موتى إلى أهـلى من المسلمين حتى أدفن كمـا يدفنون . . وحينـئذ استـرحت واطمأن خـاطرى وهدأ بالى وإلا فكيف وبأى وجـه أقابل أبى يوم القـيامـة . . الآن أهلى من المسلمين

استراحـوا وأنت أيضا لا تقلقى فزوجى مقـيم على وعده، ولا بد أنه سيسـلم جسدى بعد وفـاتى لأهلى . . لن يحرقنى كما يفـعل الكفار بأجساد موتاهم" .

وبينما هى تتحدث إذا بشاب قادم علينا . .

"هذا ابنى "مـول تشند" له شـقـة خاصـة به يؤجـرها للطلاب ويحصل على عائد طيب" .

عقد الشاب يديه أمامه وحيانى بتحية الهنادكة "نماسته" .

"لا تقل "نماسته" إنها مسلمة يا عزيزى . . . " .

وتمنيت من كل قلبى أن أهرب بعـيدا بعيدا . . أن أهرب بعـيدا عن هذا الوحل البشرى . . بعيدا عـن" مول تشند"و" نهـال تشنـد "و " آشا ديوي" الذين ولدوا فى بيـت" زينب" . . وظلت أنفاسى مـختنقـة بداخلى وأنا أردد بصـوت مكتـوم : يـا إلهى ! مـا هذا الـكـرب !!

تمـت

كشف

بانو قدسیه

فـى ضوء النور القادم من مصـابيح الحارة وقع نظره على "كوب" الشـاى الأصفـر الموجـود على الطاولة . . ظل يرقب الكوب لعـدة ثوان، ثم راح يـفـرك عـينيـه ويـنظـر هـنـا وهنـاك . . أدرك "ضـمـير" أن "برطمان" المخلل الصـغير أمامه فيه ليـمون أصفر ، نهض واقـتـرب من الطـاولة، وأعـاد برطـمـان المخلل إلى خـزانة "البرطمانات" .

هـز ضميـر رأسه يريد أن يخرج جميع النتـائج من عقله ، تلك النتائج التى ملأت دماغه بما كان فى داخله من مرئيات ، كان يتراءى له أجيانا أنه مصاب بمرض عقلى أو بحالة نفسية ، وكان يعتقد أحيانا أن نظـره قـد ضعف وكـان يخشى أن يكـون الجـن قـد سيطـر عليه أو لبسته روح عفريت . . وبعـد محاولات عديدة أخرج من داخله هذا الظن ، إنه لا يرى الحقـيقة كـما يجب أن يراها والوقـائع والأحوال والناس ليسوا هم كما كان يراهم . .

هل كان يفحص ويدقق فى الظروف المتغيرة من حوله ؟ هل حقا كان يمكن أن يقيم مع أسرته ؟ هل تغيرت القيم فى بيته ولم يدر عن ذلك شـيئـا ؟! وهـل . . وهـل . . . بدا وكأنه إحـدى عجـلات آلة

تحطم أحد تروسها فراحت تدور مصـدرة صوتا متقطعا فى كل دورة . . تريك . . تريك . . تريك . .

أعاد قراءة الخطاب مـرة أخرى ثم طواه ووضعه فى جيـبه ، كان هذا الخطاب لا يمت بصلـة من قريب أو بـعيـد بقـراره الذى يود أن يتخذه وجاء صوت أخته الكبرى من الحجرة الداخلية يناديه :

"ضـمير . . ".

رغب كعـادته أن يلقى بنداء أخـته وراء ظهره . . أن يهـمله . . فأخته الـكبرى هى أخته على كل حال وليست أمـه ، لكن التربية - داخل البيت الذى يقع فى نهاية الحارة - القائمـة على احترام الصغير للكبير جعلت هذا أمرا لاشعوريا لديه . . كان من داخله ثائرا تتنازعه المشاعر المختلفة . . .

"ضمير ! ماذا فكرت . . ؟"

"أنا . . . "

"نعم أنت . . "

"ماذا يمكننى أن أفكر وسط هذه الظروف . . ؟ "

"اترك الظروف . . مرت ثلاث سنوات على الخطبة، وأهل الفتاة يطلبون تحديد موعد الزواج" .

"نعم . . . تاريخ . . ؟ يطلبون . . " .

"أسمعنى قرارك بسرعة وإلا قمت أنا بتحديد أى تاريخ" .

نظر ضمير ناحية أخته الواقفة أمام الشباك المفتوح جهة الحارة . . كان يحب أخته الكبرى حبا جما بقدر ما كان يكرهها كراهية شديدة . . ! كان يرى فى أخته الكبرى "كشور" تمثالا حيا يقف أمامه متحدثا عن المسئوليات والواجبات . . كانت محبة أخته الكبرى بداخله مثل حجر ثقيل حط فى الماء بينما ظلت حوله دوائر الكراهية التى لا تحصى باقية على سطح الماء تتحرك دون توقف . . بدأ يفكر ويتساءل : لماذا هذا التعلق الشديد بأختى الكبرى ؟! يمكننى أن أنهى هذا الشعور فى لمحة واحدة ، لكن هذا لم يحدث . . . هبط السلالم فى غضب وانطلق يمضى فى الحارة .

كان هذا دائما هو رد الفعل الذى يصدر عنه ، إما ينزل إلى الحارة أو يصعد إلى الطابق العلوى أو السطح فيبدأ التجول هناك . . دائما يشعر بضرورة للمشى حتى يعيد حالته الداخلية إلى طبيعتها . . وهكذا ظل يمشى لعدة ساعات حتى يصيب نفسه بالتعب والإرهاق .

كانت نغمات "الموّال" التى تنبعث من دكان شرائط "الفيديو" فى الحارة تعجبه كثيرا حين يكون فى حالته الطبيعية ، لكنه الآن يشعر بالنفور لا يريد أن يسمع أى "موّال" . .

وعلى جانب الشارع الكبير المتصل بالسوق كانت هناك حديقة صغيرة ، كان المكان منطقة واسعة فى وقت من الأوقات تتجمع فيها النساء الهندوكيات فى أعياد الديوالى والدسيهره فيقمن الزينات ويترنمن

بالأغنيات طوال تلك الاحتفالات ، وبعد قيام باكستان بدأ الناس يجعلونها مربطا للجاموس . . ولفترة طويلة وفى ليالى الصيف خاصة كان العفن المنبعث منها يصل إلى كل بيت من بيوت الحارة ، وحين تقرر إخراج الجاموس من المدينة تم وضع سياج من الصفيح الأبيض حول هذه المنطقة من جميع الجهات، ثم أصبحت فيما بعد منتزها ، أقاموا فيه بعض المقاعد الخرسانية ووضعوا فيه بعض الأراجيح المكسرة وغرسوا بعض الأشجار بينما نمت الحشائش الطبيعية ، فأقاموا ممرات وممشاة من الحجارة ، وفوق الحشائش الخضراء راحت أكياس " البلاستيك " الفارغة تتطاير هنا وهناك، وتجمعت أشياء لا فائدة منها ، مكونة أكواما من الزبالة والقاذورات . . وقد أطلق أهل الحارة على المنتزه اسم "حديقة الأراجيح" . . وفى حديقة الأراجيح هذه كان ضمير يقضى الساعات الطوال جالسا . . ماشيا . . مفكرا . .

والآن أيضا . . قدم إلى هذه الحديقة وجلس على أحد مقاعدها وأخرج من جيبه الخطاب . . قرأه . . وطواه . . ثم عاد ووضعه فى جيبه من جديد ، واستدار ونظر ناحية الحارة . .

فى نهاية هذه الحارة يقع بيته المشيد بالخرسانة والحجارة ، المكون من ثلاثة طوابق حيث تقيم فيه أختاه اللتان أنهيتا دراستهما للماجستير . . كلاهما لم تذهب إلى الجامعة بل حصلتا على الماجستير مع زميلاتهما من المنتسبات . .

تنتمى هذه الأسرة إلى عائلة الراجبوت التى اشتهرت بالغيرة والنخوة والشهامة وأختا ضمير فتاتان خمريتان ،لكل منهما أنف عالية

معكوفة كأنف ببغاء ، تمتلكان إرادة قوية وفكرا طاهرا بالوراثة . . وهما تعتبران السلام على أحد أو إظهـار الشعور بالعطف تجاه أحد أو حتى الذهاب لزيارة أحد إسـاءة لسمعة العائلة ولهـما شخصـيا . . . وهما تقتربان من الثلاثين ولم تتزوجا بعد .

من وجهة نظر ضمـير كانت أختاه ملتويتين ، غـير واضحتين ، فكان يحبهمـا بقدر ما كان ينفر منهمـا ، كان دائما وفى نفس الوقت يرى أن الناس والأماكن والأحداث والظروف تسـتحق الحب والكراهية فى آن واحد . . !!

قبل ثلاث سنوات حين التحق بالجامعة التقى بحُسنة . . ليس فى الجامعة بل فى بيت يقع بعد بيته بـخمسة بيوت ، كانت حسنة تسكن مثله فى بيت مـشيد بالحـجارة والخرسـانة يتكون من ثلاثة طوابق . . وفى الطابقين العلويين شيـدت شرفة جميلة من الخـشب لم يكن لها نصـيب منذ سنوات مـن الطلاء . . وفى هذه الشـرفـة وضع بعض الأثاث الذى أصـابتـه الشمس والمـطر بالكلاحـة، فلم يكن هناك فى البيت من يفـتح أبواب الشرفـات أو حتى يقتـرب منها ،فـأهل البيت ينتمون إلى السادة وجو البيت كله جو دينى فالجميع تربى فى بيئة دينية محافظة ، والنساء قانعات راضيـات مسرورات بما يقمن به من أعمال فى البـيت من عـجين لعمـل الخبـز ، وإعـداد الطعام ورعـاية البـيت والمشاركة داخل البـيت فى إعداد ما يلزم للاحتفال بالمناسـبات الدينية والأعياد ويدردشن ويستمعن إلى الأحاديث المتعلقـة بالبنات وخطبتهن

وزواجـهن ، لكنهن لا يمكنهن المشـاركـة فى كل هذه الأمور خـارج البيت . . يحترمن الوالدين . . إلا أن حُسنة كانت تجـد نفسها مجبرة أحيانا على العصيان لأن أمها تخفيها تماما عن الأعين كما تخفى ثروة وكانت أمـها تجبرهـا على الاختفاء عن أعـين المتلصصين ، وفى ظل هذه الظروف أنهت حسنة دراستها للماجـستير دون حاجة إلى الذهاب إلى الجامعة فقد درست كطالبـة منتسبة ومن هنا كانت تذهب إلى بيت ضمير لتحصل على مـذكـرات مـادة الـدراسات الإسلاميـة مـن أختـه "زرينه" .

كانت حسنه وأخـواتها مثقفات مـتعلمات ، لكن مجتـمعهم فى بيتـهم لم يكن مجـتمعـا تنكشف فيـه النساء على الرجـال . . فهن يخـشين الجنس الآخر ويرهبنه ويـخفن منه وكـأنهن يخشين الإصـابة بمرض معدى من جنس الرجال .

اليـوم الأول الذى رأى فيه ضـمـيـر حسنه كـان يقف أمام مـحل شرائط "الفيـديو" يدخن سيجارة ، وكانت الحارة قـد أصابها الوحل فى ليلة ممطرة . . وبدت خاليـة من الحياة ، وكانت الأحـجار القديمة الملساء "تزحلق" من لا ينتبه إليها . . ظهرت حسنه من بعيد ، كانت تضع فى قـدميـها حـذاء ذا كعب عـال وترتدى ثوبا مليـئا بالطيـات ووضعت على وجهها خمارا أسود ، وعلقت فى ذراعـها حقيبة كبيرة من الجلد الطبيعى ، وفوق رأسها "شالا" أسـود مزخرفا بورود كبيرة الحجم . .

واضطر ضمير إلى الاستماع إلى وقع أقدامها داخل الحذاء ذى الكعب العالى لأن مثل هذا الصوت لا يصدر فى الحارة إلا من قدميها هى . . وحين اقتربت حسنه من محل شرائط "الفيديو" إذا بها تتزحلق وتسقط على الأرض فتقع منها حقيبتها الكبيرة ويطير خمارها الأسود وتبتعد عنها فردة من حذائها . . . ربما اضطربت حسنه بسبب نظرات أهل السوق الموجهة إليها كالسهام . . وربما كان السبب " زحلقة " الطريق أو ربما خدعها ذلك الكعب العالى ، أو ربما لم تكن لديها تجربة فى الانكشاف على الناس . . على كل حال حين سقطت على الأرض راحت الدموع تنسكب من عينيها بغزارة، ربما بسبب وقوعها على الأرض أو بسبب إحساسها بالخجل والمهانة أمام الناس .

بعد هذه الواقعة بدأ ضمير فى مساعدة حسنه وتمكن من الفوز باهتمامها تماما كالشاطر حسن أو كبطل من أبطال الحكايات الشعبية الآخرين ، ولأول مرة يشعر ضمير بالتفريق بين الحب والكراهية ، ولأول مرة يشعر أنه دخل إلى قصر المحبة الصافية . .

كانت حسنه كلما تلفحت بالشال الأسود ووضعت الحذاء ذا الكعب العالى فى قدميها وجاءت إلى بيت ضمير ، يظل ضمير يحوم حولها :

"أختى زرينه . . هل تريدين الشاى ؟ . . هل أحضر لك مشروبا باردا . . ؟"

وأخيرا تبادل الحديث مع حسنه :

"لماذا لم تأت بالأمس ؟"

"نعم .. من يمكنه أن يأتى كل يوم ؟ '

"لماذا لا يمكن أن تأتى كل يوم ؟" ويصر ضمير على سؤاله فقد تمكن من قلب حُسنه وكان بدوره يشعر براحة عجيبة وهو يحاول أن يقنعها أثناء الحديث إذ كان يريد أن يثبت ذاته ويطلع بمسئولية ما تماما مثل أخته الكبرى .

"أمى لا تسمح لى حتى بالذهاب إلى السوق فكيف تسمح لى بالمجيء هنا كل يوم ؟"

"تعالى معى إلى الجامعة مرة وسوف ترين .. البنات يأتين وحدهن .. يقدن السيارات بأنفسهن .. يجلسن فى "الكافتيريا" وحدهن يشربن الشاى وأمك التى تنتمى إلى القرن السادس عشر جعلت منك خاتما وضعته فى علبة مزخرفة"

"أهذا ذنبى ؟ .. أخبرنى ؟!"

كان بياض وجه حُسنه ناصعا تموج فيه حمرة وردية ، وكانت عيناها مدورتين واسعتين ، ووجنتاها كوردة مدورة لم تتفتح تماما، أما رقبتها فكانت مكتنزة وكتفاها عريضين وجسمها ممتلئ .. تبدو للناظرين أكبر من سنها الحقيقى ونظرا لقوة جسمها فملامح الصحة تظهر على وجهها .. لم تكن حسنه بقادرة على أن تغضب من الناس

لفترة طويـلة وكانت تتقبل فشـلها بكل سرور ، إذا تحققت لـها أمنية فرحت وسرت وإلا فإنهـا لا تسعى لتحقيقهـا ، فقد تربت على تحمل الصبر وتحمل الفشل ولم يكن هذا نتيجة لضعف فيها ولكن ربما لعدم اهتمـامهـا بالأمـور التى تـدور مـن حولهـا حتى لـو كـانت تتعلق بهـا شخصيـا ، ولهـذا فقـد كان يمكنهـا الاسـترخـاء على السرير و "الدردشة" مع صديقاتها لفـترة طويلة أو اللعب مع الأطفال ، كما كانت تفضل أن تقضى الوقت فى التـطريز وطبع الصور على القماش أو غزل "سويتر" لصـديقاتها ، كما كانت تميل إلى مسـاعدة العمات والخالات فى أداء واجباتهن المنزلية . .

كانت كلمـا التقت بضـمير تحـدثه بكل سرور وفـرح عن الطعام والموائد والمشروبات والحلوى وكانت تعشق كل أنواع الأطباق وخاصة تلك التى تحـتـوى على اللحـوم والدواجـن وأطبـاق الحلوى المملوءة بالسمن والقشدة، كما كانت تفضل الألوان الزاهية وبصفة عامة كانت ملابسها على جسمها كالألعاب النارية فى السماء.

كان ضمير على دراية كاملة بالميراث الثقافى للناس الذين يعيشون فى وسط المدينة ، لكن دراسته فى الجامعة بعيدا عن المدينة غيرت بلا شك من نظرياته وأفـكاره ، كان يـريد أن ينقل أهل بيـتـه الذين بقى منهم الآن أختاه فقط إلى القرن العـشرين ، وضمن هذه المحاولة كان كلما تحدث مع أخته الكبرى زرينة أعرضت عنه . .

"لو كانت أمى ولو كان أبى على قيد الحياة لكان هناك شأن آخر . . " .

كان صغيرا وكان قلبه مفعما بالحب لجميع أهل البيت .. ومرت الأيام .. وجاء اليوم الذى تحملت فيه أخته الكبرى المسئولية .. فراحت تصدر أوامرها :

"لا تنم فى الطابق الثانى .. لا تلبس" بنطلونات الجينز .... لا ترفع صوت المسجل بالموسيقى الصاخبة.. لماذا تضع على حائط غرفتك هذا التقويم الذى يحمل صورة اللاعب "عمران خان" ؟.. لماذا تفضل صور الممثلات الهندوكيات ؟ .. إذا أردت الاستماع إلى الغناء فاستمع إلى الأناشيد القومية ، أكل "ساندويتشات الهمبرغر " من الخزعبلات .. لماذا تضع سلسلة فى عنقك كالبنات؟ "

لم يكن هناك من الأطفال أو الصغار من يشغل الأخت الكبرى أو زرينه لم يكن فى البيت غير ضمير ، فأرادا أن يروضاه تماما كما تروض حيوانات "السرك" وكان بداخل ضمير صراع .. كان يريد أن يكون بدوره رجل البيت بين أختيه اللتين تسكنان معه فى البيت .. بريد أن يتولى المصاريف والنفقات ، يريد أن يكون بيده قرار إصدار جميع القرارات ، ولا يزال يتذكر جيدا ذلك اليوم حين نجح فى امتحان البكالوريوس بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف فانطلق فرحا إلى أخته الكبرى :

"أختاه ! لقد نجحت بتقدير ممتاز .. نعم ممتاز .. " .

وكانت الأخت كعادتها تطل من النافذة المفتوحة على الحارة تشاهد ما يدور فيها ، ففتحت درج الطاولة وأخرجت ورقة من فئة العشرة روبيات وقالت :

"إذن يجب أن تنال جائزة" .

"أعتــقد . . . يجب أن نشــترى سيــارة . . إن لنا مكانة فى هذه المنطقة ونحن أصحاب أملاك أيضا" .

"ايه . .؟ ماذا نفعل بالســيارة ؟ أنا وزرينه قلّ أن نخرج من باب البيت ، كما أننا لا ننوى إفسادك . . " .

وفى لمحة انتهى كل سروره بنجاحه بتفوق ،وبدأ بداخله إحساس بالغضب ،ســرى فى جسده ، فالأختــان لا تفكران إلا فى نفسيــهما فقط . . فى البيت تطبخان ما يعجــبهما من طعام ، وتقوم كل منهما بدعوة من تريد من الضــيوف إلى البيت ، والأخت الكبــرى لا تجعله حتى يلمس "الشــيكات" ولا تسمح له باتخاذ أى قــرار مهم ، ولكن إذا وقعــتا فى مشكلة مــا تقومان على العكس مما يجب بإيــقاعه فيــما يخجله وتحملانه المسئولية . .

"ضمــير اذهب إلى "خــاله حمــيده" وأخبــرها بأننا لا يمكن أن نقرضهــا مبلغ العشرين ألف روبية . . فــمن هنا بعد أبينا يكسب لنا رزقنا ! "

"يا أختاه أخبريها أنت بذلك الأمر" ويتلعثم ضمير وهو يرد على أخته الكبرى . " .

"يا أخى . . أنت الرجل الوحيد فى البيت . . وجميع القرارات الهامة يجب أن تكون من نصــيبك . . متى تتحمل المســئولية ؟! فى

أى يوم ستصبح رب العائلة ؟! اذهب أخبرها بذلك فى حزم وإلا جاءت لتطلب المبلغ . . . " .

كان ضمير يحب خالته حميده كثيرا ، وطوال الطريق كان يفور بالغضب من داخله من جراء ما به من صراع . . فمشاعر الكراهية تتصارع بداخله مع مشاعر الحب ويظل يفكر فى العبارات التى ستساعده وتعينه حتى يتمكن من الحديث مع خالته حميده . . فخالته - من بعد أمه - منحته حبها ، فكيف يمكنه أن يخبرها بهذا الأمر بكلمات واضحة . . كانت هذه الفكرة تعتلج بداخله . .

والآن الأخت الكبرى تريد منه قرارا . .

بدأ يتمشى فى حديقة الأراجيح حينا ، ويتجه إلى محل شرائط "الفيديو" ليتحدث مع صاحبه حينا ويمضى ليتحدث مع صاحب محل الأحذية يسأله عن أنواع الأحذية بينما يذكر له صاحب المحل أنواع الجلد والبلاستيك التى توضع فيه الأحذية وما فى البلاستيك من شحنات كهربائية تجعله يلتصق بالأحذية فيصعب فصلها عنه . . .

كان بينه وبين حُسنة مناوشات بسيطة ومناقشات . . عواطف هادئة من الحب ، ومشاعر بسيطة من الكراهية . . كل هذا تغلغل بداخله وأصبح من الصعب أن يتخلص منه ، كانت رغبة ضمير للاستعراض قد زادت . . وشعر أن علاقته بالحارة لم تعد كما كانت وثيقة متينة بل صارت هشة وخاصة بعد ظهور القيم المتغيرة من حوله وأساليب التعليم والحياة الحديثة . . لم تعد علاقته قوية بطريقة الحياة التى يعيشها وبالأفكار والعادات والتقاليد السائدة . .

خرجـت الضفدعـة من البئـر ، مضت علـى ساحل البـحر . . تَحطّم فيهـا وفاؤها للبئر . . لكن حـسنه لا تزال حتى الآن الورد فى العصير . . لا تزال كما هى مثل "المنفحة" قابعة وسط ثقافة وحضارة الحارة تعيش حياتها بترف ورفاهية . .

"لقد تغير الوقت يا حُسنه . . . يجب علينا أن نغير نظارتنا . . "

وتعتبر حـسنه جملته هذه لوح زجاج غير مصقـول يحول بينهما فتقول له :

"منذ ذهبت إلى الجامعة ومحبتك تقل يوما بعد يوم" .

ويبـدأ "بندول"المحبـة داخل ضـميـر يتجـه ناحـية الكراهيـة ، وتضطرب مشاعرهما معا وتموج عواطفهما . .

"الإحساس والتفكيـر شيئان مختلفـان يا حسنه . . . فى تفكيرى وسعة بلا شك لكن إحساسى كما هو . . لم يتغير" .

وتبدأ حسنه فى البكـاء . . منذ طفولتها تعلمت استـخدام سلاح واحد إذا ما واجهتها مشكلة ما . .

"إذا كان التفكير يتغير فإن الإحساس يتغير أيضا . . .أنت تغيرت أيضا ؟! "

شعر ضمير أمام الدموع المنهمرة بالضعف والهزيمة . .

"حسنه . . واللـه . . إن وسعة الفكر لا تقـضى أبدا على ثروة الإحسـاس ، فارتداء "الجـينز" وأكل "سندويتشات الـهمبـرغر" لا يغيران من الإنسان . . . " .

"هذا ما تقـوله أنت .. لكن كلامك وأسلوبـك ، طريقتك .. كل هذا تغير .. فقط أنت وحدك لا تدرى .. " .

"عزيزتى .. كل ما هنالك أن فى تفكيرى قليل من العمق وقليل من الوسعة فقط"

أول أمس كنت أتحـدث عن الثـقـافـة وأنـت قلت إنهـا ثقـافـة "دقيانوسية" قالت هذه العبارة وهى تبكى .

"وعندك أن الثقافة والحضارة هى الله .. ؟"

"يا أخى افتح عـقلك قليلا ... الثقافـة والحضارة ليست طـيبة وليست سيـئة ، ليست سوداء وليـست زرقاء.. الثقافة ثقـافة فقط ، فنحن نعيش مع الناس ونتغير بطريقة لا شعورية أليس كذلك ؟ فكيف يمكن أن أقول أن ثقافـتى ثقافة سيـئة ؟ لقد نشأت فيـها وتربيت على أساسها .. "

جفت دموع حسنة وبدت له كأنها مثل أخته كشور مظهرها مظهر من يملك بزمام الأمور ومن يتحمل المسئولية ..

"الأسبوع الماضى كنت تتحدث وتتكلم ضد الدين" .

"أنا ؟! ضد الدين ؟!

"ألم تقل بأنه لا وجود للجن ؟"

"أنا لم أقل هذا .. لم أقل إن الجن غيـر موجود ، كل مـا قلته أن العلم لم يثبت ذلك بالدليل المادى حتى الآن " .

"هذا هو نفس المعنى" .

"ماذا . . ؟"

"أى أن اعتقادك ضعيف" .

"العلم شيء والاعتقاد شيء آخر . . " .

"إن من يتحدث حديث العلم يقلّ اعتقاده تدريجيا ولا تبقى محبة الإسلام بداخله . . . " .

"من قال لك إن الإسلام ضد العلم ؟! ليس الإسلام . . لكنها ثقافتك المفضلة التى لا تريد أن يصل العلم إلى هذا البلد . . أتدرين أن العصر الذهبى للإسلام هو العصر الذى شهد مولد العديد من العلماء الكبار الذين أثروا فى العالم كله . . " .

"لا أدرى شيئا . . منذ تغير تفكيرك تغيرت بأكملك" .

ولفّت حسنه نفسها بالشال الأسود وهى تبكى وبدأ صوت حذائها يدق الأرض واتجهت عائدة إلى بيتها وتحرك ضمير أيضا . . وصل إلى ذلك الجدار المعلق عليه تعويذة منع الحسد . . ثم استدار فوقع نظره على ذلك المكان الذى طالما راح يطيّر منه طائرته الورقية فى صغره . . راح يتذكر السباق بينه وبين أقرانه ومعاكساتهم بعضهم بعضا . . راح يتذكر جلوسه فى المساء أو ركوبه الدراجات، وتتراءى أمامه تلك التعويذة المعلقة فى رقبة الخروف الذى ذبح لتوه وعلق فى ذلك المكان . . ثم خطا خطوات تجاه ذلك القدر الكبير . . كان دائما ينظر إليه، يمعن

النظر ناحيته فيتخيل رأس المرأة التى تخبز الخبز من خلف القدر رأس جن أو عفريت يتجه إلى السماء ليطير ، بينما ينتظر هو رؤية يديها ورجليها متخيلا أنها ستخرج من القدر والدخان يتصاعد من تحته . . كم تخيل الجن وقد طار فى السماء وكاد أن يسقط على طائرته الورقية . . راح يتذكر تلك الموالد والاحتفالات التى كانت تعقد فى الطابق العلوى . . وتذكر أختيه فى البيت فراح يحاول الوصول إلى نتيجة تتعلق بهما وبحسنه أيضا . . كان يود أن يصل إلى نتيجة إيجابية فيما يتعلق بثقافته . . نتيجة تجعله لا يخجل من هذه الثقافة إذا ما عاش فيها ومارسها وتعامل معها . . . ويريد أن يمسك بزمام دينه فى يده لا يفلت منه . . لكن لم يكن بداخله الحماس، ولم تكن بداخله العاطفة القوية لتحقيق ما يريد . .

وحين اتجه إلى ذلك المكان الذى اعتاد عليه منذ صغره خامره الإحساس بالكراهية والمحبة معا ، وحين اتجه إلى تلك المنطقة التى طالما أقيمت فيها الاحتفالات فى الماضى هاجمته الوساوس والشكوك . .

وفى "حديقة الأراجيح" وحين أخرج الخطاب من جيبه لآخر مرة . . قرأه فانكشفت أمامه فجأة حقيقة أن الذنب كله ذنب اتخاذ القرار . . إيجابيا كان أم سلبيا . . فحين يصل الإنسان فى أى لحظة إلى قرار فإن بقية المراحل سوف تتحدد من تلقاء نفسها . . . لم تعد هناك ضرورة عنده لرؤية مسافة أخرى . . لقد ترك الاستعانة بالمنظار المكبر الذى يقرب له البعيد وكذا ترك الاستعانة "بالميكروسكوب" ووصل بنفسه إلى نتيجة حتمية .

وخطا ضمير خطوات بطيئة بين ممرات "حديقة الأراجيح" واتجه إلى الشارع الذى يقع فيه بيته .. وصل إلى البيت ، كان يريد أن يحدث أخته الكبرى فيما يتعلق بتحديد موعد الزواج .. فى الطريق ألقى السلام على "دين محمد" الخياط فهو منذ فترة يحيك ملابس أختيه ..

"السلام عليكم .." .

نظر ضمير إلى دين محمد وكأنه يشاهده لأول مرة .. رأى فوق جبهته غدة كبيرة وتعرجات كثيرة ..

"يا أسطى ! هل تؤدى لى خدمة ؟"

"بسم الله .. سمعا وطاعة" .

"انظر .." وأخرج ضمير من جيبه مظروفا أراه لدين محمد وهو يقول :

" لقد وجدت وظيفة طيبة فى كراتشى .. اذهب إلى أختى الكبرى وأخبرها ألا تقلق عليّ .."

واضطرب دين محمد الخياط للحظات ..

"يا أخى .. لم يبق على بيتك سوى خطوات أربع .. اذهب بنفسك وأخبرها " قال دين محمد هذه العبارة وقد بدت عليه علامات الخوف .

"حاول أن تفهم . . لـو ذهبت إلى البيت فلن أتمكن من الذهاب إلى كراتشى" .

"على رسلك . . لكن لماذا هذه العجلة ؟"

"طبعا أنا فى عـجلة . . فمعى صديق . . والطائرة سـتقلع بعد نصف ساعة ولعله اشترى تذكرتى الآن . . تذكّر أخبر أختى ألا تقلق" .

"يا للعـجب . ." ورفع دين محـمد الخيـاط يده وكأنه يـسحب خيطـا "لضمه" فى إبرة . . . هـذا بينما أعطى ضـمير ظهـره لدين محمد ومضى يرفع رجليه الطويلتين وانطلق إلى الشارع، وأمامه على عمـود النور الكهربائى وقفت يمامـة ، راح ينظر إليها لكنهـا لم تحرك ساكنا .

كان ضمير كـما هو دائما على استعداد للتفكيـر بأن ما قد يصدر عنه قد يكون فيه ظلم لشقيقـتيه ولحسنه أيضا ، لكنه ولأول مرة ظل يمشى . . لم يلتفت خلفه .

كان فى قراره هذا قوة تمكنه من أن ينهى النزاع القائم بداخله بين الحب والكراهية . . وحتى لو كان هذا القـرار قرارا بالهجرة لكنه بدأ يشعر أن فـيه تحريرا له من حياته تلك . . تحـريرا له من النفاق الذى يسيطر على مـشاعره . . تحـريرا له من تلك المسئوليـة التى لم تجعله يتخذ قراراته بنفسه . . تحـريرا له من غموض ذاته . . فهو لا يريد - بعـد اليوم - أن يظل فى مـفتـرق واسع بين مشـاعر الحب ومـشاعـر

الكراهية . . وبعـد مدة لم يعد ينظر خلفـه . . ناحية الحـارة . . كان على يقين من أنه لو نظر خلفه مرة واحدة لتحول إلى حـجـر.

تمـت

المشروع القومى للترجمة

المشـروع القومـى للـترجمـة مشـروع تنميـة ثقافيـة بالدرجـة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنبًا إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

١ – اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت : أحمد درويش
٢ – الوثنية والإسلام	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣ – التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقى جلال
٤ – كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	ت : أحمد الحضرى
٥ – ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
٦ – اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
٧ – العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكى
٨ – مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩ – التغيرات البيئية	أندرو س. جودى	ت : محمود محمد عاشور
١٠ – خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١ – مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢ – طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣ – ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
١٤ – التحليل النفسى والأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
١٥ – الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عفيفى
١٦ – أثينة السوداء	مارتن برنال	ت : بإشراف / أحمد عتمان
١٧ – مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوى
١٨ – الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
١٩ – الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت : نعيم عطية
٢٠ – قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت: يمنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
٢١ – خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجى	ت : ماجدة العنانى
٢٢ – مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢٣ – تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤ – ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت : بكر عباس
٢٥ – مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦ – دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧ – التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت : نخبة
٢٨ – رسالة فى التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
٢٩ – الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
٣٠ – الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣١ – مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه – كلود كاين	ت : عبد الستار الحلوجى / عبد الوهاب علوب
٣٢ – الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣ – التاريخ الاقتصادى لإفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣٤ – الرواية العربية	روجر الن	ت : حصة إبراهيم المنيف
٣٥ – الأسطورة والحداثة	پول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت

٣٦ – نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت حياة جاسم محمد
٣٧ – واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت جمال عبد الرحيم
٣٨ – نقد الحداثة	ألن تورين	ت : أنور مغيث
٣٩ – الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت . منيرة كروان
٤٠ – قصائد حب	آن سكستون	ت محمد عيد إبراهيم
٤١ – ما بعد المركزية الأوربية	بيتر جران	ت . عاطف أحمد / إبراهيم فتحى / محمود ماجد
٤٢ – عالم ماك	بنجامين باربر	ت أحمد محمود
٤٣ – اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	ت المهدى أخريف
٤٤ – بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	ت . مارلين تادرس
٤٥ – التراث المغدور	روبرت ج دنيا – جون ف أ فاين	ت أحمد محمود
٤٦ – عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت محمود السيد على
٤٧ – تاريخ النقد الأدبى الحديث (١)	رينيه ويليك	ت مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨ – حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت . ماهر جويجاتى
٤٩ – الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	ت . عبد الوهاب علوب
٥٠ – ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت . محمد برادة وعثماني الميلود ويوسف الأنطكى
٥١ – مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانوبيا وخ. م بينياليستى	ت : محمد أبو العطا
٥٢ – العلاج النفسى التدعيمى	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣ – الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	ت . مرسى سعد الدين
٥٤ – المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	ت . محسن مصيلحى
٥٥ – ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	ت . على يوسف على
٥٦ – الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت . محمود على مكى
٥٧ – الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت . محمود السيد ، ماهر البطوطى
٥٨ – مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
٥٩ – المحبرة	كارلوس مونييث	ت : السيد السيد سهيم
٦٠ – التصميم والشكل	جوهانز ايتين	ت : صبرى محمد عبد الغنى
٦١ – موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور – سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهرى
٦٢ – لذّة النّص	رولان بارت	ت . محمد خير البقاعى .
٦٣ – تاريخ النقد الأدبى الحديث (٢)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤ – برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	ت : رمسيس عوض .
٦٥ – فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
٦٦ – خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت . عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧ – مختارات	فرناندو بيسوا	ت . المهدى أخريف
٦٨ – نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
٦٩ – العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠ – ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١ – السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	ت : حسين محمود

٧٢ – السياسى العجوز	ت . س . إليوت	ت : فؤاد مجلى
٧٣ – نقد استجابة القارئ	چين . ب . توميكنز	ت : حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤ – صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوڤا	ت : حسن بيومى
٧٥ – فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	ت . أحمد درويش
٧٦ – چاك لاكان وإغواء التحليل النفسى	مجموعة من الكتاب	ت . عبد المقصود عبد الكريم
٧٧ – تاريخ النقد الأدبى الحديث ج ٢	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨ – العولمة النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	ت . أحمد محمود ونورا أمين
٧٩ – شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكى	ت سعيد الغانمى وناصر حلاوى
٨٠ – بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	ت : مكارم الغمرى
٨١ – الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	ت : محمد طارق الشرقاوى
٨٢ – مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	ت : محمود السيد على
٨٣ – مختارات	غوتفريد بن	ت خالد المعالى
٨٤ – موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	ت : عبد الحميد شيحة
٨٥ – منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاى	ت : عبد الرازق بركات
٨٦ – طول الليل	جمال مير صادقى	ت . أحمد فتحى يوسف شتا
٨٧ – نون والقلم	جلال آل أحمد	ت . ماجدة العنانى
٨٨ – الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٨٩ – الطريق الثالث	أنتونى جيدنز	ت . أحمد زايد ومحمد محيى الدين
٩٠ – وسم السيف (قصص)	نخبة من كُتاب أمريكا اللاتينية	ت محمد إبراهيم مبروك
٩١ – المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربر الاسوستكا	ت . محمد هناء عبد الفتاح
٩٢ – أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكى المعاصر	كارلوس ميجل	ت . نادية جمال الدين
٩٣ – محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	ت : عبد الوهاب علوب
٩٤ – الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	ت : فوزية العشماوى
٩٥ – مختارات من المسرح الإسبانى	أنطونيو بويرو باييخو	ت : سرى محمد محمد عبد اللطيف
٩٦ – ثلاث زنبقات ووردة	قصص مختارة	ت إدوار الخراط
٩٧ – هوية فرنسا (مج ١)	فرنان برودل	ت . بشير السباعى
٩٨ – الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	نماذج ومقالات	ت : أشرف الصباغ
٩٩ – تاريخ السينما العالمية	ديڤيد روبنسون	ت : إبراهيم قنديل
١٠٠ – مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	ت : إبراهيم فتحى
١٠١ – النص الروائى (تقنيات ومناهج)	بيرنار فاليط	ت : رشيد بنحدو
١٠٢ – السياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبى	ت : عز الدين الكتانى الإدريسى
١٠٣ – قبر ابن عربى يليه آياء	عبد الوهاب المؤدب	ت : محمد بنيس
١٠٤ – أوبرا ماهوجنى	برتولت بريشت	ت : عبد الغفار مكاوى
١٠٥ – مدخل إلى النص الجامع	چيرارچينيت	ت : عبد العزيز شبيل
١٠٦ – الأدب الأندلسى	د. ماريا خيسوس روبييرامتى	ت : أشرف على دعدور
١٠٧ – صورة الفدائى فى الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة	ت : محمد عبد الله الجعيدى

١٠٨ - ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي	مجموعة من النقاد	ت : محمود علي مكي
١٠٩ - حروب المياه	جون بولوك وعادل درويش	ت : هاشم أحمد محمد
١١٠ - النساء في العالم النامي	حسنة بيجوم	ت : منى قطان
١١١ - المرأة والجريمة	فرانسيس هيندسون	ت : ريهام حسين إبراهيم
١١٢ - الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	ت : إكرام يوسف
١١٣ - راية التمرد	سادى پلانت	ت : أحمد حسان
١١٤ - مسرحيتا حصاد كونجي وسكان المستنقع	وول شوينكا	ت : نسيم مجلي
١١٥ - غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وولف	ت : سمية رمضان
١١٦ - امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	ت : نهاد أحمد سالم
١١٧ - المرأة والجنوسة في الإسلام	ليلى أحمد	ت . منى إبراهيم ، وهالة كمال
١١٨ - النهضة النسائية في مصر	بث بارون	ت . لميس النقاش
١١٩ - النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهرى سنبل	ت : بإشراف/ رؤوف عباس
١٢٠ - الحركة النسائية والتطور في الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	ت : نخبة من المترجمين
١٢١ - الدليل الصغير في كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	ت : محمد الجندى ، وإيزابيل كمال
١٢٢ - نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	ت : منيرة كروان
١٢٣ - الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	نيقولا إيفانوف	ت: أنور محمد إبراهيم
١٢٤ - الفجر الكاذب	جون جراى	ت : أحمد فؤاد بلبع
١٢٥ - التحليل الموسيقي	سيدريك ثورپ ديڤي	ت . سمحه الخولي
١٢٦ - فعل القراءة	ڤولفانج إيسر	ت . عبد الوهاب علوب
١٢٧ - إرهاب	صفاء فتحي	ت : بشير السباعي
١٢٨ - الأدب المقارن	سوزان باسنيت	ت : أميرة حسن نويرة
١٢٩ - الرواية الاسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	ت : محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠ - الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	ت : شوقي جلال
١٣١ - مصر القديمة (التاريخ الاجتماعي)	مجموعة من المؤلفين	ت : لويس بقطر
١٣٢ - ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	ت : عبد الوهاب علوب
١٣٣ - الخوف من المرايا	طارق علي	ت : طلعت الشايب
١٣٤ - تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	ت : أحمد محمود
١٣٥ - المختار من نقد ت. س. إليوت (ثلاثة أجزاء)	ت. س. إليوت	ت : ماهر شفيق فريد
١٣٦ - فلاحو الباشا	كينيث كونو	ت : سحر توفيق
١٣٧ - مذكرات ضابط في الحملة الفرنسية	چوزيف مارى مواريه	ت : كاميليا صبحي
١٣٨ - عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	إيڤلينا تاروني	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩ - پارسيڤال	ريشارد ڤاچنر	ت : مصطفى ماهر
١٤٠ - حيث تلتقي الأنهار	هربرت ميسن	ت : أمل الجبوري
١٤١ - اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	ت : نعيم عطية
١٤٢ - الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	ت : حسن بيومي
١٤٣ - قضايا التنظير في البحث الاجتماعي	ديريك لايدار	ت : عدلي السمرى
١٤٤ - صاحبة اللوكاندة	كارلو جولدوني	ت : سلامة محمد سليمان

١٤٥ – موت أرتيميو كروث	كارلوس فوينتس	ت : أحمد حسان
١٤٦ – الورقة الحمراء	ميجيل دي ليبس	ت : على عبد الرؤوف البمبى
١٤٧ – خطبة الإدانة الطويلة	تانكريد دورست	ت : عبد الغفار مكاوى
١٤٨ – القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إنريكى أندرسون إمبرت	ت . على إبراهيم على منوفى
١٤٩ – النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	ت . أسامة إسبر
١٥٠ – التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	ت: منيرة كروان
١٥١ – هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٢ – عدالة الهنود وقصص أخرى	نخبة من الكُتاب	ت : محمد محمد الخطابى
١٥٣ – غرام الفراعنة	فيولين فانويك	ت : فاطمة عبد الله محمود
١٥٤ – مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	ت : خليل كلفت
١٥٥ – الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة من الشعراء	ت : أحمد مرسى
١٥٦ – المدارس الجمالية الكبرى	جى أنبال وآلان وأوديت ڤيرمو	ت : مى التلمسانى
١٥٧ – خسرو وشيرين	النظامي الكنوجي	ت : عبد العزيز بقوش
١٥٨ – هوية فرنسا (مج ٢ ، ج٢)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٩ – الإيديولوجية	ديفيد هوكس	ت : إبراهيم فتحى
١٦٠ – آلة الطبيعة	بول إيرليش	ت : حسين بيومى
١٦١ – من المسرح الإسبانى	اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	ت : زيدان عبد الحليم زيدان
١٦٢ – تاريخ الكنيسة	يوحنا الأسيوى	ت : صلاح عبد العزيز محجوب
١٦٣ – موسوعة علم الاجتماع ج ١	جوردون مارشال	ت بإشراف · محمد الجوهرى
١٦٤ – شامپوليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	ت . نبيل سعد
١٦٥ – حكايات الثعلب	أ . ن أفانا سيفا	ت : سهير المصادفة
١٦٦ – العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليڤمان	ت : محمد محمود أبو غدير
١٦٧ · فى عالم طاغور	رابندرانات طاغور	ت : شكرى محمد عياد
١٦٨ – دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	ت : شكرى محمد عياد
١٦٩ – إبداعات أدبية	مجموعة من المبدعين	ت : شكرى محمد عياد
١٧٠ – الطريق	ميغيل دليبيس	ت : بسام ياسين رشيد
١٧١ – وضع حد	فرانك بيجو	ت : هدى حسين
١٧٢ – حجر الشمس	مختارات	ت : محمد محمد الخطابى
١٧٣ – معنى الجمال	ولتر ت . ستيس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤ – صناعة الثقافة السوداء	ايليس كاشمور	ت : أحمد محمود
١٧٥ – التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦ – نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	ت : جلال البنا
١٧٧ – أنطون تشيخوف	هنرى ترويا	ت : حصة إبراهيم منيف
١٧٨ – مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	ت : محمد حمدى إبراهيم
١٧٩ – حكايات أيسوب	أيسوب	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠ – قصة جاويد	إسماعيل فصيح	ت : سليم عبدالأمير حمدان
١٨١ – النقد الأدبى الأمريكى	فنسنت . ب . ليتش	ت : محمد يحيى

١٨٢ – العنف والنبوءة	و . ب . ييتس	ت : ياسين طه حافظ
١٨٣ – چان كوكتو على شاشة السينما	رينيه چيلسون	ت : فتحى العشرى
١٨٤ – القاهرة .. حالمة لا تنام	هانز إبندورفر	ت : دسوقى سعيد
١٨٥ – أسفار العهد القديم	توماس تومسن	ت : عبد الوهاب علوب
١٨٦ – معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل أنوود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧ – الأرضة	بُزُرْج علوى	ت . علاء منصور
١٨٨ – موت الأدب	الڤين كرنان	ت . بدر الديب
١٨٩ – العمى والبصيرة	پول دى مان	ت سعيد الغانمى
١٩٠ – محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	ت . محسن سيد فرجانى
١٩١ – الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	ت . مصطفى حجازى السيد
١٩٢ – سياحتنامه إبراهيم بيك	زين العابدين المراغى	ت . محمود سلامة علاوى
١٩٣ – عامل المنجم	بيتر أبراهامز	ت : محمد عبد الواحد محمد
١٩٤ – مختارات من النقد الأنجلو – أمريكى	مجموعة من النقاد	ت . ماهر شفيق فريد
١٩٥ – شتاء ٨٤	إسماعيل فصيح	ت . محمد علاء الدين منصور
١٩٦ – المهلة الأخيرة	فالنتين راسبوتين	ت . أشرف الصباغ
١٩٧ – الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	ت . جلال السعيد الحفناوى
١٩٨ – الاتصال الجماهيرى	إدوين إمرى وآخرون	ت . إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩ – تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لانداوى	ت . جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠ – ضحايا التنمية	جيرمى سيبروك	ت . فخرى لبيب
٢٠١ – الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٢٠٢ – تاريخ النقد الأدبى الحديث جـ٤	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣ – الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	ت : جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤ – تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	ت : أحمد محمود هويدى
٢٠٥ – الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللي – سفورزا	ت : أحمد مستجير
٢٠٦ – الهيولية تصنع علماً جديداً	جيمس جلايك	ت : على يوسف على
٢٠٧ – ليل إفريقى	رامون خوتاسندير	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٠٨ – شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	ت : محمد أحمد صالح
٢٠٩ – السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٠ – مثنويات حكيم سنائى	سنائى الغزنوى	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١ – فرديناند دوسوسير	جوناثان كلر	ت : محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢ – قصص الأمير مرزبان	مرزبان بن رستم بن شروين	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١٣ – مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبد الناصر	ريمون فلاور	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢١٤ – قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	ت : محمد محمود محى الدين
٢١٥ – سياحت نامه إبراهيم بيك جـ٢	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
٢١٦ – جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٧ – مسرحيتان طليعيتان	صمويل بيكيت	ت : نادية البنهاوى
٢١٨ – رايولا	خوليو كورتازان	ت : على إبراهيم على منوفى

٢١٩ – بقايا اليوم	كازو ايشجورو	ت : طلعت الشايب
٢٢٠ – الهيولية فى الكون	بارى باركر	ت : على يوسف على
٢٢١ – شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	ت : رفعت سلام
٢٢٢ – فرانز كافكا	رونالد جراى	ت : نسيم مجلى
٢٢٣ – العلم فى مجتمع حر	بول فيرابنر	ت : السيد محمد نفادى
٢٢٤ – دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	ت : منى عبد الظاهر إبراهيم السيد
٢٢٥ – حكاية غريق	جابرييل جارثيا ماركث	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٦ – أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	ت : طاهر محمد على البربرى
٢٢٧ – المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر	موسى ماردبا ديف بوركى	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٨ – علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	ت : مارى تيريز عبد المسيح وخالد حسن
٢٢٩ – مأزق البطل الوحيد	نورمان كيمان	ت : أمير إبراهيم العمرى
٢٣٠ – عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣١ – الدرافيل	خايمى سالوم بيدال	ت : جمال أحمد عبد الرحمن
٢٣٢ – مابعد المعلومات	توم ستينر	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣ – فكرة الاضمحلال	أرثر هيرمان	ت : طلعت الشايب
٢٣٤ – الإسلام فى السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	ت : فؤاد محمد عكود
٢٣٥ – ديوان شمس تبريزى ج١	جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٣٦ – الولاية	ميشيل تود	ت : أحمد الطيب
٢٣٧ – مصر أرض الوادى	روبين فيدين	ت : عنايات حسين طلعت
٢٣٨ – العولمة والتحرير	الانكتاد	ت : ياسر محمد جاد الله وعربى مدبولى أحمد
٢٣٩ – العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلارافر – رابوخ	ت : نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠ – الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كامى حافظ	ت : صلاح عبد العزيز محمود
٢٤١ – فى انتظار البرابرة	ك. م كويتز	ت : ابتسام عبد الله سعيد
٢٤٢ – سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	ت : صبرى محمد حسن عبد النبى
٢٤٣ – تاريخ إسبانيا الإسلامية جـ١	ليفى بروفنسال	ت : مجموعة من المترجمين
٢٤٤ – الغليان	لاورا إسكيبيل	ت : نادية جمال الدين محمد
٢٤٥ – نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس	ت : توفيق على منصور
٢٤٦ – قصص مختارة	جابرييل جرثيا ماركث	ت : على إبراهيم على منوفى
٢٤٧ – الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر	وولتر أرمبرست	ت : محمد الشرقاوى
٢٤٨ – حقول عدن الخضراء	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٢٤٩ – لغة التمزق	دراجو شتامبوك	ت : رفعت سلام
٢٥٠ – علم اجتماع العلوم	دومنيك فينك	ت : ماجدة أباظة
٢٥١ – موسوعة علم الاجتماع ج ٢	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
٢٥٢ – رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	ت : على بدران
٢٥٣ – تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوفا	ت : حسن بيومى
٢٥٤ – الفلسفة	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥ – أفلاطون	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام

٢٥٦ - ديكارت	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧ - تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	ت : محمود سيد أحمد
٢٥٨ - الغجر	سير أنجوس فريزر	ت : عُبادة كُحيلة
٢٥٩ - مختارات من الشعر الأرمنى	نخبة	ت : ڤاروچان كازانچيان
٢٦٠ - موسوعة علم الاجتماع ج٣	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
٢٦١ - رحلة فى فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢ - مدينة المعجزات	إدوارد مندوثا	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٦٣ - الكشف عن حافة الزمن	چون جريبن	ت : على يوسف على
٢٦٤ - إبداعات شعرية مترجمة	هوراس / شلى	ت : لويس عوض
٢٦٥ - روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصموئيل جونسون	ت : لويس عوض
٢٦٦ - مدير المدرسة	جلال آل أحمد	ت : عادل عبد المنعم سويلم
٢٦٧ - فن الرواية	ميلان كونديرا	ت : بدر الدين عرودكى
٢٦٨ - ديوان شمس تبريزى ج٢	جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦٩ - وسط الجزيرة العربية وشرقها ج١	وليم چيفور بالجريف	ت : صبرى محمد حسن
٢٧٠ - وسط الجزيرة العربية وشرقها ج٢	وليم چيفور بالجريف	ت : صبرى محمد حسن
٢٧١ - الحضارة الغربية	توماس سي . باترسون	ت : شوقى جلال
٢٧٢ - الأديرة الأثرية فى مصر	س. س. والترز	ت : إبراهيم سلامة
٢٧٣ - الاستعمار والثورة فى الشرق الأوسط	جوان أر. لوك	ت . عنان الشهاوى
٢٧٤ - السيدة بربارا	رومولو جلاجوس	ت : محمود على مكى
٢٧٥ - ت. س. إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	أقلام مختلفة	ت : ماهر شفيق فريد
٢٧٦ - فنون السينما	فرانك جوتيران	ت : عبد القادر التلمسانى
٢٧٧ - الچينات . الصراع من أجل الحياة	بريان فورد	ت : أحمد فوزى
٢٧٨ - البدايات	إسحق عظيموف	ت : ظريف عبد الله
٢٧٩ - الحرب الباردة الثقافية	فرانسيس ستونر سوندرز	ت : طلعت الشايب
٢٨٠ - من الأدب الهندى الحديث والمعاصر	بريم شند وآخرون	ت : سمير عبد الحميد
٢٨١ - الفردوس الأعلى	مولانا عبد الحليم شرر الكهنوى	ت : جلال الحفناوى
٢٨٢ - طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس ولبيرت	ت : سمير حنا صادق
٢٨٣ - السهل يحترق	خوان رولفو	ت : على البمبى
٢٨٤ - هرقل مجنوناً	يوربيدس	ت : أحمد عتمان
٢٨٥ - رحلة الخواجة حسن نظامى	حسن نظامى	ت : سمير عبد الحميد
٢٨٦ - رحلة إبراهيم بك ج٣	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
٢٨٧ - الثقافة والعولمة والنظام العالمى	أنتونى كينج	ت : محمد يحيى وآخرون
٢٨٨ - الفن الروائى	ديفيد لودج	ت : ماهر البطوطى
٢٨٩ - ديوان منجوهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	ت : محمد نور الدين
٢٩٠ - علم الترجمة واللغة	جورج مونان	ت : أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١ - المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ج١	فرانشسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر
٢٩٢ - المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ج٢	فرانشسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر

٢٩٣ – مقدمة للأدب العربى	روجر آلان	ت : نخبة من المترجمين
٢٩٤ – فن الشعر	بوالو	ت : رجاء ياقوت صالح
٢٩٥ – سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل	ت : بدر الدين حب الله الديب
٢٩٦ – مكبث	وليم شكسبير	ت : محمد مصطفى بدوى
٢٩٧ – فن النحو بين اليونانية والسوريانية	ديونيسيوس ثراكس – يوسف الأهوانى	ت : ماجدة محمد أنور
٢٩٨ – مأساة العبيد	أبو بكر تفاوابليوه	ت : مصطفى حجازى السيد
٢٩٩ – ثورة التكنولوجيا الحيوية	جين ل. ماركس	ت هاشم أحمد فؤاد
٣٠٠ – أسطورة بروميثيوس مج١	لويس عوض	ت : جمال الجزيرى وبهاء چاهين
٣٠١ – أسطورة بروميثيوس مج٢	لويس عوض	ت : جمال الجزيرى ومحمد الجندى
٣٠٢ – فنجنشتين	جون هيتون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٣ – بـوذا	جين هوب وبورن فان لون	ت . إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤ – ماركس	ريـوس	ت . إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥ – الجلد	كروزيو مالابارته	ت : صلاح عبد الصبور
٣٠٦ – الحماسة – النقد الكانطى للتاريخ	چان – فرانسوا ليوتار	ت : نبيل سعد
٣٠٧ – الشعور	ديفيد بابينو	ت : محمود محمد أحمد
٣٠٨ – علم الوراثة	ستيف جونز	ت : ممدوح عبد المنعم أحمد
٣٠٩ – الذهن والمخ	انجوس چيلاتى	ت . جمال الجزيرى
٣١٠ – يونج	ناجى هيد	ت : محيى الدين محمد حسن
٣١١ – مقال فى المنهج الفلسفى	كولنجوود	ت . فاطمة إسماعيل
٣١٢ – روح الشعب الأسود	وليم دى بويز	ت : أسعد حليم
٣١٣ – أمثال فلسطينية	خابير بيان	ت : عبد الله الجعيدى
٣١٤ – الفن كعدم	جينس مينيك	ت : هويدا السباعى
٣١٥ – جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو	ت :كاميليا صبحى
٣١٦ – محاكمة سقراط	أ. ف. ستون	ت : نسيم مجلى
٣١٧ – بلا غد	شير لايموفا – زنيكين	ت : أشرف الصباغ
٣١٨ – الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	نخبة	ت : أشرف الصباغ
٣١٩ – صور دريدا	جايتر ياسبيفاك وكرستوفر نوريس	ت : حسام نايل
٣٢٠ – لمعة السراج لحضرة التاج	مؤلف مجهول	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٢١ – تاريخ إسبانيا الإسلامية ج٢	ليفى برو فنسال	ت : نخبة من المترجمين
٣٢٢ – التأريخ الغربى للفن الحديث	دبليوجين كلينباور	ت : خالد مفلح حمزة
٣٢٣ – فن الساتورا	تراث يونانى قديم	ت : هانم سليمان
٣٢٤ – اللعب بالنار	أشرف أسدى	ت : محمود سلامة علاوى
٣٢٥ – عالم الآثار	فيليب بوسان	ت : كرستين يوسف
٣٢٦ – المعرفة والمصلحة	جورجين هابرماس	ت : حسن صقر
٣٢٧ – مختارات شعرية مترجمة	نخبة	ت : توفيق على منصور
٣٢٨ – يوسف وزليخة	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت : عبد العزيز بقوش
٣٢٩ – رسائل عيد الميلاد	تد هيوز	ت : محمد عيد إبراهيم

٣٣٠ – كل شيء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	ت : سامى صلاح
٣٣١ – عندما جاء السردين	ستيفن جراى	ت : سامية دياب
٣٣٢ – رحلة شهر العسل وقصص أخرى	نخبة	ت : على إبراهيم على منوفى
٣٣٣ – الإسلام فى بريطانيا	نبيل مطر	ت : بكر عباس
٣٣٤ – لقطات من المستقبل	آرثر س. كلارك	ت : مصطفى فهمى
٣٣٥ – عصر الشك	ناتالى ساروت	ت : فتحى العشرى
٣٣٦ – متون الأهرام	نصوص قديمة	ت : حسن صابر
٣٣٧ – فلسفة الولاء	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٣٣٨ – قصص قصيرة من الهند	نخبة	ت : جلال السعيد الحفناوى
٣٣٩ – تاريخ الأدب فى إيران جـ٣	على أصغر حكمت	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٤٠ – اضطراب فى الشرق الأوسط	بيرش بيربيروجلو	ت : فخرى لبيب
٣٤١ – قصائد من رلكه	راينر ماريا رلكه	ت : حسن حلمى
٣٤٢ – سلامان وأبسال	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت : عبد العزيز بقوش
٣٤٣ – العالم البرجوازى الزائل	نادين جورديمر	ت : سمير عبد ربه
٣٤٤ – الموت فى الشمس	بيتر بلانجوه	ت : سمير عبد ربه
٣٤٥ – الركض خلف الزمن	بونه ندائى	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٣٤٦ – سحر مصر	رشاد رشدى	ت : جمال الجزيرى
٣٤٧ – الصبية الطائشون	جان كوكتو	ت : بكر الحلو
٣٤٨ – المتصوفة الأولون فى الأدب التركى جـ١	محمد فؤاد كوبريلى	ت : عبد الله أحمد إبراهيم
٣٤٩ – دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	آرثر والدرون وآخرين	ت : أحمد عمر شاهين
٣٥٠ – بانوراما الحياة السياحية	أقلام مختلفة	ت : عطية شحاتة
٣٥١ – مبادئ المنطق	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٣٥٢ – قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	ت : نعيم عطية
٣٥٣ – الفن الإسلامى فى الأندلس (هندسية)	باسيليو بابون مالدونالد	ت : على إبراهيم على منوفى
٣٥٤ – الفن الإسلامى فى الأندلس (نباتية)	باسيليو بابون مالدونالد	ت : على إبراهيم على منوفى
٣٥٥ – التيارات السياسية فى إيران	حجت مرتضى	ت : محمود سلامة علاوى
٣٥٦ – الميراث المر	بول سالم	ت : بدر الرفاعى
٣٥٧ – متون هيرميس	نصوص قديمة	ت : عمر الفاروق عمر
٣٥٨ – أمثال الهوسا العامية	نخبة	ت : مصطفى حجازى السيد
٣٥٩ – محاورات بارمنيدس	أفلاطون	ت : حبيب الشارونى
٣٦٠ – أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا باركان	ت : ليلى الشربينى
٣٦١ – التصحر . التهديد والمجابهة	آلان جرينجر	ت : عاطف معتمد وآمال شاور
٣٦٢ – تلميذ بابنبرج	هاينرش شبورال	ت : سيد أحمد فتح الله
٣٦٣ – حركات التحرر الأفريقى	ريتشارد جيبسون	ت : صبرى محمد حسن
٣٦٤ – حداثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	ت : نجلاء أبو عجاج
٣٦٥ – سأم باريس	شارل بودلير	ت : محمد أحمد حمد
٣٦٦ – نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	ت : مصطفى محمود محمد

٣٦٧ – القلم الجرىء	نخبة	ت البرّاق عبد الهادى رضا
٣٦٨ – المصطلح السردى	جيرالد برنس	ت : عابد خزندار
٣٦٩ – المرأة فى أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوى	ت : فوزية العشماوى
٣٧٠ – الفن والحياة فى مصر الفرعونية	كليرلا لويت	ت : فاطمة عبد الله محمود
٣٧١ – المتصوفة الأولون فى الأدب التركى جـ٢	محمد فؤاد كوبريلى	ت : عبد الله أحمد إبراهيم
٣٧٢ – عاش الشباب	وانغ مينغ	ت : وحيد السعيد عبد الحميد
٣٧٣ – كيف تعد رسالة دكتوراه	أمبرتو إيكو	ت : على إبراهيم على منوفى
٣٧٤ – اليوم السادس	أندريه شديد	ت : حمادة إبراهيم
٣٧٥ – الخلود	ميلان كونديرا	ت : خالد أبو اليزيد
٣٧٦ – الغضب وأحلام السنين	نخبة	ت . إدوار الخراط
٣٧٧ – تاريخ الأدب فى إيران جـ٤	على أصغر حكمت	ت . محمد علاء الدين منصور
٣٧٨ – المسافر	محمد إقبال	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٣٧٩ – ملك فى الحديقة	سنيل باث	ت : جمال عبد الرحمن
٣٨٠ – حديث عن الخسارة	جونتر جراس	ت : شيرين عبد السلام
٣٨١ – أساسيات اللغة	ر. ل. تراسك	ت : رانيا إبراهيم يوسف
٣٨٢ – تاريخ طبرستان	بهاء الدين محمد إسفنديار	ت : أحمد محمد نادى
٣٨٣ – هدية الحجاز	محمد إقبال	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٣٨٤ – القصص التى يحكيها الأطفال	سوزان إنجيل	ت : إيزابيل كمال
٣٨٥ – مشترى العشق	محمد على بهزادراد	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٣٨٦ – دفاعًا عن التاريخ الأدبى النسوى	جانيت تود	ت : ريهام حسين إبراهيم
٣٨٧ – أغنيات وسوناتات	چون دن	ت : بهاء چاهين
٣٨٨ – مواعظ سعدى الشيرازى	سعدى الشيرازى	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٨٩ – من الأدب الباكستانى المعاصر	نخبة	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٤٦٢١ / ٢٠٠٢





هذه مجموعة من القصص القصيرة تم اختيارها بدقة وعناية حتى تمثل اتجاه القصة القصيرة المعاصرة فى الأدب الأردى، والعناوين التى وردت هنا ترجمة دقيقة لعناوين القصص الأردية ، وينطبق هذا أيضًا على ترجمة محتوى كل قصة ؛ فقد توخى المترجم الدقة والأمانة .

تضمنت هذه المجموعة القصصية قصصًا لأدباء كبار لهم مكانتهم فى الأدب الأردى مثل : أحمد نديم قاسمى ، وممتاز مفتى ، وبانو قدسية ، ومحمد صدر عالم صديقى المعروف باسم "إى حميد" ، وشبان أدباء احتلوا أيضًا مكانتهم فى الأدب الأردى ، وبخاصة فى فن القصة القصيرة ومنهم : ستار طاهر ، وظفر إقبال ، وغافر شهزاد ، وشمس نعمان ، وسلمى ياسمين ، ومحمد سعيد شيخ ، ونجم الحسن رضوى ، وعقيلة كاظمى .

ويلاحظ فى معظم القصص المختارة هنا وضوح الطابع الاجتماعى والدينى والسياسى بل والفلسفى والأخلاقى الأحداث ؛ فالأدباء هنا يرصدون الواقع كيفما تسنى لهم ويختارون من الأحداث ما يخدم الغرض .. وسوف يطـ القارئ قصصًا تعالج أحداثًا مختلفة فى أزمنة مختلفة ، و أمكنة مختلفة .

تصميم الغلاف : سماء محمد